INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY
Islamabad – Pakistan
Faculty of Islamic Studies (Usuluddin)
Department of Tafseer and Qura'nic Sciences

الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد – باكستان
كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)
قسم التفسير وعلوم القرآن

٢ - ٥٣١١

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب

في تفسيره "التحرير والتنوير"

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير (ايم فل) في التفسير وعلوم القرآن

إشراف :

الأستاذ الدكتور / مصباح الله عبد الباقي

الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)

إعداد الطالب:
هادي بخش بن محمد بخش السندي

رقم التسجيل:619/FU/MA/2002

العام الجامعي: 1429هـ/ 2008م

International Islamic Univ.
CENTRAL LIBRARY ISLAMABAD.

30/05/2016

Accession No TH 5311

M.S
٢٩٧،١٢٢٥٧
م ١٥

قرآن - خطی

الجامعة الإسلامية العالمية

كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)

لجنة المناقشة للحصول على درجة الماجستير (ايم فل)

أجريت مناقشة على البحث الذي قدمه

الطالب: هادي بخش بن محمد بخش السندي

بعنوان:

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب

في تفسيره "التحرير والتنوير"

أسماء أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم

الرقم	لجنة المناقشة	الاسم	التوقيع
١	المشرف على البحث	الأستاذ الدكتور/ مصباح الله عبد الباقي	
٢	المناقش الداخلي	الأستاذ الدكتور/ سميع الحق	
٣	المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور/ علي أصغر جشتي	
الملاحظات			

إهداء

إلى و الديّ الكريمين الذين ربياني تربية صالحة ،
رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.
وإلى أساتذتي الكرام الذين بذلوا جهودهم في زيادة
علمي وتربيتي.
وإلى أسرتي و أصدقائي و كل من ساعدني في تحصيل
العلم حتى وصلت إلى هذه المرحلة.
وإلى جميع الذين جاهدوا في الله تعالى بأموالهم
وأنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا.

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على صفوة خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله، سيدنا محمد وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فانطلاقا من قول الله تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم ﴾[1]

وقول النبي صلى الله عليه وسلم :" لا يشكر الله من لا يشكر الناس".[2] أرى من الواجب علي أن أشكر الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد التي أتاحت لي فرصة الدراسات العليا.ثم أتوجه بالشكرالجزيل لأستاذي الكريم ومشرفي الشفيق فضيلة الدكتور مصباح الله عبد الباقي حفظه الله ورعاه الذي بذل جهدا كبيرا أثناء الإشراف على رسالتي واستفدت منه كثيرا، بتوجيهاته الكريمة وملاحظاته القيمة.

كما أشكر جميع الأساتذة الكرام الذين لم يألوا جهداً في تزويدي بالعلم النافع. وأشكر أيضا أعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة الرسالة.

وأخيرا أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى كل من ساعدني وأعانني في دراستي وبحثي. وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا في ميزان حسناتهم وأن يرزقهم السعادة في الدارين.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية :٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ح ٤١٧٧ ، بإشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، ص ٦٥١، الطبعة الأولى : ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م ، ط : دارالسلام الرياض – السعودية. قال الألباني : وهذا الحديث صحيح على شرط مسلم . ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيئ من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين الألباني ج ١ / ٧٧٦، ح : ٤١٦.ط ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ط : مكتبة المعارف ، الرياض.

- مقدمة
- أهمية الموضوع
- سبب اختيار الموضوع
- منهجي في البحث
- خطة البحث

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اتبع الهدى إلى يوم الدين. قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

وبعد:

فأتعرض للأمور التالية:

أولا: أهمية الموضوع:

إن أهمية الموضوع ترجع إلى أن القرآن الكريم كتاب الله تعالى وتفسيره أفضل العلوم. لأن فيه هدى ونورا مبينا وبرهانا على المعاندين. حتى يستهدي إليه الناس ويأخذوه كدستور لهم في حياتهم. والسيرعلى إرشاده و توجيهه يتضمن فلاحهم في الدارين.

ثانيا: سبب اختيار الموضوع :

وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب تالية:

(١) رغبتي في معرفة مناهج المفسرين حتى أعرف طريقتهم في التعامل مع النص القرآني وتحليله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٠٢.
(٢) سورة النساء ، الآية :١.
(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٠،٧١.

(٢) كان ابن عاشور من علماء القرن العشرين، فيعتبرمن المعاصرين ولقد لخص تفسيره من مطولات التفاسير ومختصراتها فجمع أقوال المفسرين الكثيرة وهذا مما يعطي للباحث معرفة شاملة بهذه التفاسير وأصحابها .

(٣) ألف الشيخ تفسيره في وقت بدأ الوهن والضعف يتقرب إلى أذهان المسلمين وغطت سحابة الاستعمار جميع العالم الإسلامي، وتفسيره يواجه هذا الجو ويخاطب عقول الشباب الإسلامي ويوقظ الطاقات الكامنة في قلوب المسلمين.

(٤) إن الشيخ بجانب رسوخه في العلوم الإسلامية والعربية والأدبية، واسع الاطلاع على الكتب السابقة والديانات الأخرى مما مكنه من مناقشة آراء اليهود والنصارى والرد على شبههم وافتراءاتهم.

(٥) قيمة تفسير ابن عاشور العلمية مسلّمة لدى أهل العلم ولذلك تلقوه بقبول واستفادوا منه.

(٦) إن أهمية هذا التفسير كانت غير معروفة لدى كثير من الناس فأردت أن أبينها من خلال دراسة منهج تفسير ابن عاشور.

ثالثا: خطوات البحث:

وقد سلكت بتوفيق الله سبحانه وتعالى في كتابة هذا البحث المنهج التالي:

(١) عزو جميع الآيات الكريمة في البحث مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

(٢) تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية.

(٣) تخريج الآثار والشواهد الشعرية بقدرالإمكان.

(٤) ترجمة لمعظم الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث من المصادر المعتمدة. فإن لم أجد ترجمة لأحد منهم أشرت في الهامش بأنني لم أجد ترجمته في كتب التراجم ومظانها.

(٥) التعريف بالمدن والأماكن المذكورة في البحث غالبا.

(٦) شرح المصطلاحات والكلمات الغامضة في البحث.

(٧) بعد ذكر كل نقطة من منهجه اكتفيت بمثالين على الأقل للزيادة في البيان والتوضيح.

رابعا: خطة البحث:

عنوان البحث هو" منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في تفسيره التحريروالتنوير"

ويشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

أما **المقدمة**، فتشمل ما يلي:

أولا: أهمية الموضوع

ثانيا: سبب اختيار الموضوع

ثالثا : خطوات البحث

رابعا: خطة البحث

وأما **التمهيد** فيشتمل على النقاط التالية:

(١) نبذة عن حياة ابن عاشور

(٢) نبذة عن تفسيره

(٣) تعريف موجز بمفردات موضوع الرسالة

وأما الفصل الأول: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالرواية عن المصادرالإسلامية

ففيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالقرآن الكريم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسيرالآية المجملة بالمبينة.

المطلب الثاني: دفع التعارض الظاهري بين الآيات وبين الآية والحديث

المبحث الثاني: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالسنة النبوية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسير الآية المجملة بالسنة النبوية

المطلب الثاني: بيان التأكيد بالسنة المطهرة

المبحث الثالث: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهـــل الكتـــاب بـــأقوال الصحابة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفسير الآية بقول الصحابي

المطلب الثاني: تحديد المعنى المبهم بقول الصحابي

المطلب الثالث: ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال الصحابة .

المبحث الرابع: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال التابعين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفسير الآية بقول التابعي

المطلب الثاني: تحديد المعنى المبهم بقول التابعي

المطلب الثالث: ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال التابعين.

وأما الفصل الثاني: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالنقـــل عن المصادر غيرالإسلامية

ففيه مبحثان وهما:

المبحث الأول: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالإسرائيليات المروية عن مسلمة أهل الكتاب

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: نبذة عن الإسرائيليات

ويتكون من عدة نقاط:

أولا : الإسرائيليات لغة

ثانيا : الإسرائيليات اصطلاحا

ثالثا : تسرب الإسرائيليات إلى التفسير

المطلب الثاني: منهج ابن عاشور في إيراد الإسرائيليات

وذكرت فيه ثلاثة مقاصد وهي:

المقصدالأول: التعقيب على الإسرائيليات

المقصدالثاني: السكوت عن الإسرائيليات

المقصدالثالث: ملخص منهج ابن عاشور في إيراد الإسرائيليات

المبحث الثاني: منهج ابن عاشورفي تفسيرالآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالرجوع إلى الكتب المقدسة لأهل الكتاب

وفيه تمهيد ومطلبان ويشمل كل منهما بعض المقاصد:

أما التمهيد فقسمته إلى نقطتين وهما:

أولا: الكتب المقدسة التي أحال عليها ابن عاشور في تفسيره التحرير التنوير

ثانيا: التعريف بالأسفار والأناجيل التي اعتمد عليها ابن عاشور في تفسيره

وأما المطلبان فهما:

المطلب الأول: تفسير ابن عاشور عند الموافقة لبيان الكتاب المقدس

وذكرت فيه أربعة مقاصد:

المقصد الأول: النقل عن الكتاب المقدس لقصص القرآن

المقصد الثاني: النقل عن الكتاب المقدس لتأييد بيان القرآن

المقصد الثالث: استشهاده بالكتاب المقدس فيما يذهب إليه من المعنى

المقصد الرابع: توضيحه الكلمة القرآنية بالكتاب المقدس

المطلب الثاني: إثبات ابن عاشور لعقائد الإسلام وذكرت فيه مقصدين:

المقصدالأول: إظهاره البشارة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب المقدس

المقصدالثاني: إبطاله عقيدة ألوهية عيسى عليه السلام بالكتاب المقدس

وأما الفصل الثالث: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالرأي، ففيه تمهيد وثلاثة مباحث:

أما التمهيد فذكرت فيه :

أولا: تعريف التفسير بالرأي

ثانيا: أنواع التفسير بالرأي

ثالثا: ما يجوز من التفسير بالرأي وما لا يجوز

المبحث الأول: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في ذكر المناسبات والأمثلة على ذلك

المبحث الثاني: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في تناول الأبحاث اللغوية

فيه تمهيد وأربعة مطالب:

أما التمهيد فذكرت فيه أهمية اللغة وصلتها بتفسيرالقرآن

وأما المطالب فهي:

المطلب الأول: شرح الكلمات الغريبة في القرآن

المطلب الثاني: اهتمامه بالاشتقاقات الصرفية

المطلب الثالث: اهتمامه بالنحو

المطلب الرابع: استشهاده بالشعر العربي فيما يذهب إليه من المعنى

المبحث الثالث: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأمورالحياة اليومية، ومنها: السياسة والعلم التجريبي

وفيه مطلبان وفي كل منهما مقصدان:

المطلب الأول: تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بعلم السياسة

وذكرت فيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: تعريف السياسة

المقصد الثاني: الأمثلة على ذلك من تفسير ابن عاشور

المقصد الثالث: ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بعلم السياسة

أما المطلب الثاني: تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالعلم التجريبي

فذكرت فيه مقصدين:

المقصد الأول: تعريف التفسير العلمي التجريبي

المقصد الثاني: ومن الأمثلة على ذلك

وأما الفصل الرابع: تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب عن ابن عاشور في الميزان، فذكرت فيه مبحثين وهما:

المبحث الأول: الإيجابيات التي تميّز بها ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في تفسيره "التحرير والتنوير"

المبحث الثاني: أبرز المآخذ على ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب.

وأما الخاتمة: فذكرت فيها أهم نتائج البحث

وأما الفهارس فهي:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

الفصل الأول

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالرواية عن المصادر الإسلامية

تمهيد: وسنتناول في بداية هذا الفصل ترجمة الشيخ الطاهر ابن عاشور لنكون على ذكر مما نتحدث عنه وهو منهجه في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب، وسنتناول ترجمته في النقاط التالية:

أولا: نبذة عن حياة ابن عاشور رحمه الله

١. اسمه:

محمد الطاهر [١] بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن الشاذلي [٢] بن عبدالقادر محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي.[٣]

٢. ولادته:

ولد محمد الطاهر ابن عاشور بضاحية المرسي[٤] بتونس في جمادي الأولى ١٢٩٦هـ/سبتمبر ١٨٧٩م في قصر جده للأم محمد العزيز بوعتور.[٥]

---

(١) سمي باسم جدّه.

(٢) الشاذلية: نسبة إلى الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الشاذلي، الولي الزعيم، ولد في الشاذلة قرية بإفريقية، طريقة الشاذلية تنتمي إليه وهي طريقة من طرق الصوفية. انظر: كتاب دائرة المعارف وهو قاموس عام لكل فن ومطلب للمعلم بطرس البستاني. ج ١٠/٣٧٤، دار المعرفة، ١٨٨٠م بيروت-لبنان.

(٣) انظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير" للدكتورة هَيَا ثامر مفتاح العلي، ص: ١٩. دار الثقافة، ١٩٩٤م، الدوحة-قطر.

(٤) مرسي: بلدة على المتوسط في تونس، انظر: المنجد في اللغة والأعلام: ص ٦٥٢، (بدون كتابة اسم المؤلف وتاريخ الطبعة) ط: ٢١ المكتبة الشرقية، بيروت.

(٥) هو محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن الوزير محمد بن محمد بوعتور الصفاقسي التونسي وزير من العلماء الكتّاب.تناول قانون "عهد الأمان" بالشرح والتفريع , وعلّق عليه تحريرات أصولية في إجراء بعض كلياته على قواعد الشريعة الإسلامية.كان مولده ووفاته بتونس (١٨٢٥-١٩٠٧م) انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخيرالدين الزركلي: ج ٦/٢٦٨، ط: الثانية عشرة، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

٣. نشأته:

وكانت نشأته علمية منذ نعومة أظفاره، فجده للأب محمد الطاهر ابن عاشور[١] "قاضي قضاة تونس" وجده للأم "الوزير" محمد العزيز بوعتور. لأجل ذلك استطاع أن يحصل على كلا النوعين من العلوم العصرية والدينية، ولما بلغ السادسة من عمره بدأ في تعلم القرآن بمنزله وحفظ القرآن وبعض المتون العلمية، ثم تعلم ما تيسر له من اللغة الفرنسية وفي سنة ١٨٩٣م. دخل جامع الزيتونة الأعظم، وحصل على شهادة التطويع في سنة ١٨٩٩م.[٢]

٤. مهارته في العلوم الكثيرة:

ابن عاشور رحمه الله برع في فنون كثيرة ومتعددة كالتفسير واللغة والبلاغة والفقه والمنطق والأصول وغير ذلك مما جعله يخرج تفسيراً بلاغياً، بيانياً رائعاً.[٣]

٥. جهوده العلمية:

هو شيخ الجامع الأعظم أي جامعة الزيتونة وفروعه في سنة ١٩٤٢م، ثم شيخاً عميداً للجامعة الزيتونة في سنة ١٩٥٦م.

---

(١) ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبدالقادر بن محمد (ت: ١٢٨٤هـ-١٨٦٨م) نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، ولي قضاءها ١٢٦٧هـ، ثم الفتيا (١٢٧٧هـ) فنقابة الاشراف، له كتب: "شفاء القلب الجريح" في شرح البردة، و"هدية الأريب" حاشية على القطر لابن هشام في النحو، وحواشي أخرى على المطول وعلى المحلي وغيرها، انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي: ج١/٩٦، ط: الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

(٢) انظر: "الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير"، رسالة الدكتوراه "لهيا ناصر مفتاح العلي: ص ٢٥، ٢٦.

(٣) انظر: الأعلام للزركلي ج ١٧٤/٧.

كما شارك في تأسيس الجمعية الزيتونية [١] والجمعية الخلدونية.[٢] انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بمصر في سنة ١٩٥٠م، وبالمجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٩٥٥م. له أبحاث ودراسات ومقالات كثيرة نشرت في كبريات المجلات بتونس ومصر.[٣]

٦. دوره في إصلاح المجتمع:

كان لابن عاشور له صلات وثيقة بالحياة العلمية والحركة الفكرية في المشرق والمغرب طوال حياته. [٤] وكان من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني.[٥]

٧. وظائفه:

كان ابن عاشور رحمه الله مدرساً في الجامعة الزيتونة وكان قاضياً ومفتياً وشيخ جامعة الزيتونة وكان يتبع المذهب المالكي في الفقه، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة.[٦] كما أنه كان مدرساً في المدرسة الصادقية. [٧] وكان كاتبًا مصلحاً. [٨]

---

(١) لم أعثر على تعريفها في الكتب المتعلقة بالحركات والمنظمات المعاصرة وغيرها.

(٢) الجمعية الخلدونية: هذه الجمعية أسست عام ١٨٦٩م وانتخب الأمير الاي محمد القروي رئيسا لها عملت على بث العلوم العصرية باللغة العربية، أنظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير" رسالة الدكتوراه لهيا ثامر مفتاح العلي، ص: ٤٣.

(٣) انظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر لعادل نويهض: ج ٢/٥٤١،٥٤٢، ط: الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مؤسسة نويهض بيروت_لبنان.

(٤) انظر: معجم تفاسير القرآن للدكتور عبدالقادر زمامة، وزملاؤه، ص: ١٢٣، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، ط: ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مطبعة ايديال، الدار البيضاء.

(٥) انظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر لعادل نويهض: ج ٢/٥٤١.

(٦) انظر: الأعلام للزركلي: ج ٧/١٧٤.

(٧) المدرسة الصادقية: نسبة إلى المهد الصادقي الذي ظهر عهد جديد في التاريخ الفكري يسمح للتعليم المنهجي للغة الفرنسية والتخصصات العلمية لتلاميذ هذه المؤسسة بالتأثير بالثقافة والحضارة الإسلامية، ومن ثم التأثر بثقافة وحضارة أوربا العربية، انظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير" رسالة الدكتوراه لهيا ثامر. ص: ٤٢.

(٨) انظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر لعادل نويهض: ج ٢/٥٤١.

٨. مؤلفاته:

كان الشيخ كاتباً شهيراً له مصنفات مطبوعة من أشهرها:

١. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد تفسيره الذي نحن بصدده البحث عنه.

٢. مقاصد الشريعة

٣. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام

٤. الوقف في الإسلام

٥. أصول الإنشاء والخطابة

٦. نقد كتاب "الإسلام وأصول الحكم"

٧. أليس الصبح بقريب [١]

٩. وفاته:

توفي ابن عاشور رحمه الله بتونس سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. [٢]

١٠. ثناء العلماء عليه:

قال الأستاذ الشاذلي القليبي [٣]: "والحق يقال، فقد كان للشيخ ابن عاشور وأضرابه وتلاميذه الدور الأساسي في تلقين الأجيال الصادقية اللغة العربية وتعليمهم التاريخ الإسلامي والفقه والتوحيد، وغرس القيم الإسلامية في نفوسهم. كان الإمام الطاهر من أئمة رجال

---

(١) انظر: أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الطالب: هلال حزاري الجزائري ج ١/٣٠٩-٣١٢، المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد-باكستان. قسم المخطوطات برقم: ٣١٨٠ -T.

(٢) انظر: الأعلام للزركلي: ج ٧/١٧٤.

(٣) القليبي: صحفي وسياسي تونسي، تعلم بجامع الزيتونة، واشتغل بالصحافة تولى تحرير صحيفتي "الإرادة" اليومية، و"الزهرة" وأدار أعمال الحزب الدستوري في أثناء غياب رئيسه عبدالعزيز الثعالبي، قدم لمؤتمر اليونسكو ١٩٤٧م رسالة عن التعليم بتونس، توفي بدمشق، انظر: الموسوعة العربية الميسرة للدكتور ياسين صلاواتي، ج ٦/٢٧٣٩.

الدين وشيوخ الإسلام متمكناً في علوم الشريعة والأدب، في الأصول والفروع، حتى عد إمام عصره وشيخ دهره، وتصدر جيله وصار مقصد طالبي الفتيا في حياته". [١]

وقال الدكتور محمد السويسي [٢]:

"إن منصب الإفتاء الخطير ليس من السهل الوصول إليه إذ لا بد من مجموعة من القيود حددها الأئمة من الفقهاء والأصوليين، فمنها عادات خلقية كريمة تكتسب أصلا من المنبت الطيب، بالتربية والتهذيب والتوجيه والاقتداء بسلوك العلماء والعظماء. وقد وجدت هذه السجايا عند الشيخ ابن عاشور حيث أهلته للإفتاء التطوعي أولا ثم الإفتاء الرسمي، ثم باشا مفتي فكبير أهل الشورى، ثم شيخ الإسلام المالكي، وكان الشيخ الطاهر أول من لقب به". [٣]

ثانياً: نبذة عن تفسيره:

١. اسم التفسير:

تفسير "التحرير والتنوير" سماه ابن عاشور "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". ثم اختصر هذا الإسم بـ"التحرير والتنوير من التفسير" [٤] لكن اشتهر بين الناس اليوم باسم "التحرير والتنوير" أو بـ"تفسير ابن عاشور".

٢. غرض ابن عاشور من كتابة تفسيره:

نذكر هنا نكات من كلام ابن عاشور توضح أغراضه في كتابة تفسيره وهي:

---

(١) انظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير" لهيا ثامر. ص: ٤٩.

(٢) محمد السويسي، صالح (١٨٧٨م-١٩٤١م) أديب له شعر تونسي من قيروان، يعد من أوائل من طرقوا الموضوعات الاجتماعية الوطنية من أدباء تونس، وأول من كتب (رواية) في الأدب التونسي سماها (الهيفاء وسراج الليل) نشرت في مجلة خير الدين بتونس، له كتب منها: "منحم التبر في النظم والنثر" و"دليل القيروان" و"النثر البديع"، انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي: ج ٢١٢/٥.

(٣) انظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير" لهيا ثامر، ص: ٦٣-٦٤.

(٤) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: ج ٨/١، مؤسسة التاريخ العربي ط: الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، بيروت-لبنان.

أ- وعد أن تفسيره سيكون جامعاً لمصالح الدنيا والدين، حيث قال:

"أما: بعد فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العري من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والأخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعاً في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره".

ب- أراد المؤلف أن يفسر الآيات بأسلوب جديد بدون إعادة نقل ما قاله المفسرون لأنه يرى أن مجرد إعادة أقوالهم يعطل فيض القرآن كما قال في مقدمة تفسيره "فإن الاقتصار على الحديث المعاد تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاد".

ج- كان المؤلف ينتقد على المفسرين الأوائل أخذهم وقبولهم لكلام السابقين من غير مراعاة الصحيح من الخاطئ كما قال المؤلف أنه يكون على "موقف الحَكَم بين المفسرين أن نعمد إلى ما شاده الأقدمون فنهذبه نزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، علما بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحْد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة". ومن ثم كان غرضه أن يظهر التفسير بلون جديد.

د- كان المؤلف رحمه الله عالماً في البلاغة ولأجل هذا حاول أن يذكر في تفسيره النكات البلاغية التي خلت عنها التفاسير. كما أشار إلى هذا الكلام صراحة، يقول:

"ولكن فنا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن". [1]

---

(١) تفسير ابن عاشور، ج ١/٧، ٨.

٣.أسلوب المؤلف في عرض التفسير:

أسلوب المؤلف الذي مشى عليه هو أنه يذكر في بداية السورة اسمها ووجه تسميتها وبيان مكيها ومدنيها.

ويبين أسباب النزول إن كانت السورة نازلة في حادثة معينة أو عن سؤال، وأحياناً يتعرض أثناء التفسير لأسباب النزول التي نزلت فيها الآية. كمايذكر مناسبة الآيات بعضها ببعض عند الحاجة إليها. ويذكر هدف السورة ومقصدها ويسميها غالباً أغراض هذه السورة.

ثم يتعرض للآيات العديدة ويذكر إعراب ما يحتاج إليه مراعياً القراءات المشهورة ويشرح الكلمات الصعبة بالضبط والتحقيق ثم يورد بعض النكت التفسيرية وبعض الإشكالات والأجوبة عنها بحيث أنه يفترض سؤالا من عنده ثم يجيب عنه مشيدا جوابه بالأدلة النقلية والعقلية.

كما أننا نلاحظ في تفسيره أنّه يستطرد في ذكر الأحكام الفقهية، ومذاهب العلماء وأدلتهم، وإن كان مقلا في هذه الناحية فلا يتوسع ولا يكثر من الفروع.

أحياناً يرد المؤلف رحمه الله على بعض آراء غلاة الشيعة وغلاة الصوفية والفرق المنحرفة الأخرى.

إن ابن عاشور رحمه الله ذكر في تفسيره قصصاً إسرائيلية وعقب عليها ما يظهر بطلانها وعدم صحتها. لعل هذا يكفي لإفادة القارئ أن يعرف أسلوب المؤلف إجمالا وسيأتي التفصيل بعد ذلك... إن شاء الله.

٤. طبعات تفسيره:

لقد طبع في مطبعة الدار التونسية للنشر عام ١٩٨٤م في ثلاثين مجلدا. وهذه النسخة موجودة ومتداولة.

وطبع أيضا في مطبعة مؤسسة التاريخ العربي بيروت عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م (الطبعة الأولى) في ثلاثين مجلدا وهذه النسخة هي التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

ثالثاً: تعريف موجز بمفردات موضوع الرسالة:

أ- المنهج لغة: المنهج بفتح الميم، والمنهاج بكسرها: هو البين الواضح وهو الطريق المستقيم.(١)

المنهج اصطلاحاً:

"هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته الفكرية، حتى يصل إلى نتيجة معلومة". (٢)

ب- التفسير لغة واصطلاحاً:

التفسير لغة: الفسر والتفسير بمعنى واحد يدل كلاهما على بيان الشيء وإيضاحه، يقال فسَّرتُ الشيء وفسَّرته، والفسر والتَّفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحُكمُه فيه.(٣)

التفسير اصطلاحاً:

عرّفه الزرقاني (٤): "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية". (٥)

---

(١) انظر: لسان العرب لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: ج ٤٤٧/٣، المحتوي ر-ز (غَبْر-رهْز) ط: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(٢) انظر: منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، للدكتور حلمي عبدالمنعم صابر، ص: ١٤، ط: ١٤١٨هـ، مكة المكرمة رابطة العالم الإسلامي.

(٣) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: ج ٥٠٤/٤، ط: الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧١م شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاه خلفاء.

(٤) الزرقاني: (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م) محمد عبدالعظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه "مناهل العرفان في علوم القرآن -ط" و"بحث -ط" في الدعوة والارشاد. انظر: الأعلام للزركلي ج ٢١٠/٦.

(٥) ينظر: مناهل العرفان في علوم لقرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني: ج ٢٦٥/١، ط: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

ج- الآية لغة واصطلاحاً:

الآية لغةً: العلامة والإمارة والرسالة والجماعة. [١]

الآية اصطلاحاً:

الآية: هي طائفة من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلة كانت أو قصيرة. [٢]

د- تعريف أهل الكتاب:

يطلق أهل الكتاب على اليهود والنصارى. [٣]

---

(١) انظر: القاموس عربي -عربي قاموس لغوي عام، إعداد محمد هادي اللحام، محمد سعيد، زهير علوان، ص ٣٩، ط: الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(٢) التعريفات للجرجاني السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي، ص ٣٩، المكتبة الحمادية كراتشي-باكستان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) انظر: موسوعة الاجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبو حبيب: ج ١٠١١/٢، (بدون تاريخ) إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

المبحث الأول

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالقرآن الكريم

ويشتمل على تمهيد ومطلبين

تمهيد: سأتناول تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب با لقرآن.

إن تفسير القرآن بالقرآن من أعلى أنواع التفسير؛ لأن ما أجمل منه في مكان فسر في مكان آخر، وما اختصر في موضع فصل في مكان آخر. وقد اشتهر القول عند أهل العلم بأن القرآن يفسر بعضه بعضا.

كما يقول الدكتور الذهبي [١]: "لابد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولا، فيجمع ما تكرر منه في موضع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، يستعين بما جاء مسهبا على معرفة ما جاء موجزا، وما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملا، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص. وبهذا يكون تفسير القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره". [٢]

وبناء على هذه الأهمية اعتمد الشيخ الطاهر بن عاشور على هذا الأصل في تفسيره للآيات المتعلقة بأهل الكتاب، ولتوضيح ذلك نورد المطالب التالية:

---

(١) الذهبي: هو الدكتور محمد حسين الذهبي، عميد كلية أصول الدين وأمين عام مجمع البحوث الإسلامية ووزير الأوقاف وشئون الأزهر في مصر. له عدة مؤلفات في التفسير، أشهرها: التفسير والمفسرون، قتل على يد إحدى جماعات المتطرفة سنة ١٣٩٧هـ، ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، للدكتور ياسين صلواتي: ج ١٧٧٤/٤.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي: ج ٢٨/١، ٢٩، ط: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. آوند دانش للطباعة والنشر.

المطلب الأول: تفسير الآية المجملة [١] بالمبينة [٢]:

ما أجمله القرآن في موضع بينه في موضع آخر، وقد ذكر علماء الأصول وعلوم القرآن، هذا النوع في كتبهم، ومشى على ذلك علماء التفسير في تفاسيرهم، وابن عاشور اعتنى بذلك. وإليك مثالين من تفسيره على هذا النوع:

المثال الأول:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ...﴾ [٣]

"...ومن لطائف القرآن في اختيار لفظ العهد للاستعارة هنا لتكليف الله تعالى إياهم أن ذلك خطاب لهم باللفظ المعروف عندهم في كتبهم فإن التوراة المنزلة على موسى عليه السلام تلقب عندهم بالعهد لأنها وصايات الله تعالى لهم ولذا عبر عنه في مواضع من القرآن بالميثاق وهذا من طرق الإعجاز العلمي الذي لا يعرفه إلا علماؤهم وهم أشح به منهم في كل

---

(١) تعريف المجمل عرّفه صاحب جمهرة اللغة: "واجملتُ الشيءَ إجمالاً إذا جمعته عن تفرقه؛ وأكثر ما يستعمل ذلك في الكلام الموجز، يقال: أجمل فلان الجواب". انظر: جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. ج ٥٦١/١ الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

وقال صاحب كشف الأسرار: "فما ازدحمت فيه المعاني، واشتبه المراد اشتباهاً لا يُدرك بنفس العبارة، بل بالرجوع إلى الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل". انظر: كشف الأسرار شرح المصنف على المنار للإمام أبي البركات عبدالله بن أحمد المعروف بـ حافظ الدين النسفي ج ٢١٨/١ (بدون تاريخ الطبعة) دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

وقال صاحب "دستور العلماء": ما اجتمعت فيه المعنيان أو المعاني من غير رجحان لأحدهما على الباقي، فاشتبه المراد به اشتباهاً لا يُدرك إلا ببيان من جهة المجمل". انظر: دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للقاضي عبدالنبي بن عبدالرسول الأحمد نكري، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(٢) تعريف المبيّن (بفتح الياء)

في الاصطلاح يطلق على اطلاقين:

الإطلاق الأول: يطلق ويراد به، الخطاب المبتدأ المستغني عن البيان وهو الواضح بنفسه الإطلاق الثاني: يطلق ويراد به: ما وقع عليه البيان مما احتاج إليه، وهو الواضح بغيره، ويسمّى ذلك الغير مبيّناً (بكسر الياء).

انظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية للدكتور عبدالكريم بن علي بن محمد النّملة ج ١٢٤٥/٣ ط: الثالثة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م. مكتبة الرشد الرياض ـ السعودية.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

شيء بحيث لا يعرف ذلك إلا خاصة أهل الدين فمجيئه على لسان النبيء العربي الأمي دليل على أنه وحي من العلام بالغيوب. والعهد قد أخذ على أسلافهم بواسطة رسلهم وأنبيائهم قال تعالى﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ... الآية﴾[١] وإذ قد كان المخاطبون بالآية قد تلقوا الشريعة من أسلافهم بما فيها من عهد فقد كان العهد لازماً لهم وكان الوفاء متعيناً عليهم لأنهم الذين جاء فيهم الرسول الموعود به". [٢]

بين الله تعالى العهدين إجمالاً، ولم يرد توضيح العهد الثاني ببيان المراد منه متصلاً، وبيّنه في مواضع أخرى. أما العهد المأخوذ على بني إسرائيل فمذكور في الآية الكريمة التي أوردها ابن عاشور، وأما العهد الذي أخذه الله على نفسه إذا وفوا بعهودهم فمذكور في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣]

المثال الثاني:

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ...الآية﴾[٤]

"...والقوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو إسرائيل كما وقع في الآية الأخرى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[٥] وعدل عن تعريفهم بطريق الإضافة إلى تعريفهم بطريق الموصولية لنكتتين: أولاهما: الإيماء إلى علة الخبر، أي أن الله ملكهم الأرض وجعلهم أمة حاكمة جزاء لهم على ما صبروا على الاستعباد، غيرة من الله على عبيده.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ١/٤٣٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٥٩.

الثانية: التعريض ببشارة المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم بأنهم ستكون لهم عاقبة السلطان كما كانت لبني إسرائيل، جزاء على صبرهم على الأذى في الله، ونذارة المشركين بزوال سلطان دينهم".[١]

ذكر الله تعالى لفظ القوم في الآية و لم يتعين المراد به فبين في آية ثانية أن القوم هم بنو إسرائيل فأشار ابن عاشور إلى تلك الآية الكريمة.

المطلب الثاني: دفع التعارض [٢] الظاهري بين الآيات وبين الآية والحديث

التعارض الحقيقي لا يوجد في القرآن الكريم ولا بين الآية والحديث النبوي، أما التعارض الموجود بين الآيات وبين الآية والحديث النبوي فهو تعارض غير حقيقي وهذا الذي نقصده هنا ونسميه التعارض الظاهري أو التعارض الموهوم. فقام العلماء في دفع هذا التعارض ومنهم ابن عاشور قد حاول أن يدفع التعارض الظاهري بين الآيات وبين الآية والحديث كما يتبين ذلك من المثالين الآتيين من تفسيره:

المثال الأول:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٣] "...وهذا إعلام بأن بعض الرسل أفضل من بعض على وجه الإجمال وعدم تعيين الفاضل من المفضول.

...وهذا مورد الحديث الصحيح "لا تفضّلوا بين الأنبياء" [٤] يعني: به النهي عن التفضيل التفصيلي، بخلاف التفضيل على سبيل الإجمال، كما نقول: الرسل أفضل من الأنبياء

---

(١) تفسير ابن عاشور ج ٢٦١/٨.

(٢) التعارض في اللغة: المقابلة على سبيل الممانعة. وأما في الاصطلاح: تقابل الدليلين المتساويين على سبيل التمانع، بأن يقتضي كل من الدليلين في محل واحد وزمن واحد، حكما يخالف ما يقتضيه الآخر. انظر: تيسير الوصول إلى علم الأصول للدكتور عبدالرحيم يعقوب. ج ٥٩٤/١ الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مكتبة العبيكان الرياض – السعودية.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٤) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، ح ٦١٥١. ص: ١٠٤٣.

الذين ليسوا رسلاً. وقد ثبت أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الرّسل لما تظاهر من آيات تفضيله وتفضيل الدين الذي جاء به وتفضيل الكتاب الذي انزل عليه. وهي متقارنة الدلالة تنصيصاً وظهوراً. إلاّ أنّ كثرتها تحصل اليقين بمجموع معانيها عملاً بقاعدة كثرة الظواهر تفيد القطع. وأعظمها آية ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾" (١)

وقع تعارض ظاهري بين القرآن الكريم والحديث النبوي. فهذه الآية تثبت تفضيل الرسل بعضهم على بعض. أما الحديث الصحيح فينفي ذلك. فدفع ابن عاشور هذا التعارض وقال: التفضيل بين الرسل بعضهم بعضا اجمالا لا ضير فيه. أما التفضيل بين الرسل على وجه التفصيل فهو منهي عنه بالسنة المطهرة، ثم أورد الآية التي تدل على فضيلة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على غيره من الرسل.

المثال الثاني:

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٢)

"... يريد الصالحين بالناس في حسن المعاملة ولين الجانب، قصد بذلك تعريف خلقه لصاحبه، وليس هذا تزكية النفس المنهي عنه. (٣) لأن المنهي عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدح، فأما ما كان لغرض في الدين أو المعاملة فذلك حاصل لداع حسن كما قال يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾"(٤)

---

(١) تفسير ابن عاشور ج ٢/٤٨٣، والآية من سورة آل عمران رقمها: ٨١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٧.

(٣) تزكية النفس المنهي عنها هو بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾(سورة النجم، الآية: ٣٢).

(٤) سورة يوسف، الآية: ٥٥، تفسير ابن عاشور: ج ٢٠/٤٧.

ذُكر في هذه الآية أن الرجل الصالح أراد أن يزوج ابنته بموسى عليه السلام قد مدح نفسه. فهذا يكون من باب التعارض الظاهري بالآية الثانية التي فيها النهي[1] عن مدح النفس. فعمد الشيخ ابن عاشور لإزالة هذا التعارض الموهوم بما جاء في القرآن عن يوسف عليه السلام أنه مدح نفسه. ثم ذلك بأنها كانت معاملة دينية. ويقول الشيخ: المدح يكون جائزاً بشرط ألا يكون المادح مفتخراً بمدحه نفسه بل يكون لمعاملة أو لغرض ديني.

(١) وهي: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾(سورة النجم، الآية: ٣٢).

المبحث الثاني

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالسنة النبوية

ويشتمل على تمهيد ومطلبين

تمهيد: أذكر هنا منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب با السنة النبوية.

لقد أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم لهداية البشر. فأعطاه كتاباً عظيماً وأسند إليه مهمة بيانه وتفسيره كما يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾[1]

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إذا أشكلت عليهم آية من آيات القرآن كانوا يلجأون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يبين لهم ما خفي عليهم، لأنه يوحى إليه من الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام غير القرآن أيضا. كما يقول صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه..." الحديث.[2]

المطلب الأول:

تفسير الآية المجملة بالسنة النبوية:

قد وردت الآيات المجملة في القرآن وفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كبيان مواقيت الصلوات الخمس، وعدد ركعاتها، وكيفية ركوعها وسجودها.

واعتنى بذلك علماء التفسير وغيرهم في تصانيفهم، ومنهم ابن عاشور الذي عني بهذا النوع في تفسيره وإليك مثالين يوضحان ذلك:

أ- قال الشيخ الطاهر بن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ...﴾[3]

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) أخرجه أبو داؤد في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، عن المقداد بن معديكرب، ح ٤٦٠٤. ص:٦٥١. وقال محمد ناصر الدين الألباني: سنده صحيح: انظر: مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي وحققه الألباني ج ١/٥٨ ح: ١٦٣، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الناشر المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

"...ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن القول الذي بدلوا به أنهم قالوا: حبة في شعرة أو في شعيرة،[١] والظاهر أن المراد به أن العشرة [٢] استهزؤوا بالكلام الذي أعلنه موسى عليه السلام في الترغيب في فتح الأرض وكنوا عن ذلك بأن محاولتهم فتح الأرض كمحاولة ربط حبة بشعرة أي في التعذر، أو هو كأكل حبة مع شعرة تخنق آكلها، أو حبة من بُرّ مع شعيرة...". [٣]

ذكر الله تعالى قولاً في الآية الكريمة و لم يأت تفسيره متصلاً ومن هنا أصبح هذا اللفظ مجملاً. وجاءت السنة مفسرة للقول بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً. وضح ابن عاشور المعنى في ضوء الحديث النبوي، وكذا شرح الحديث لكن لم يذكر مصدره.

ب- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٤]

"...ومعنى عرضهم على النار أن أرواحهم تشاهد المواضع التي أعدت لها في جهنم، وهو ما يبينه حديث عبدالله بن عمر في "الصحيح" قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة".[٥]

---

(١) وتمامه: "قيل لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾(البقرة: ٥٨) فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا: حبة في شعرة".

أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ح ٣٤٠٣، ص: ٥٧١.

(٢) وهم الذين من قوم بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر فأرسلهم موسى عليه السلام ليتحسسوا أرض كنعان. تفسير ابن عاشور ج ٤٩٦/١.

(٣) تفسير ابن عاشور: ج ٥٠٠/١.

(٤) سورة المؤمن، الآية: ٤٦.

(٥) أخرجه البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في صحيحه، كتاب الجنائز، باب، الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ح: ١٣٧٩، ص: ٢٢١. تفسير ابن عاشور: ج ٢٠٩/٢٤.

هذه الآية دليل قوي على اثبات عذاب القبر كما ذهب إليه المفسرون ومنهم: ابن كثير[١]: حيث قال: "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور،...وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً".[٢]

وقال الشوكاني[٣]: "وذهب الجمهور إلى أنّ هذا العرض هو في البرزخ".[٤]

وقال البيضاوي[٥]: "وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر"[٦].

وقال ابن الجوزي[٧]: "وهذه الآية تدل على عذاب القبر لأنه بين ما لهم في

---

(١) ابن كثير: هو الحافظ الكبير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري الدمشقي الفقيه الشافعي، برع في الفقه والتفسير والنحو، وكان قدوة العلماء والحفاظ، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. من تصانيفه: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفى سنة ٧٧٤هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، ج ١٥٣/١، ط: دار المعرفة، بيروت.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عمادالدين، أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. ج ٤٠/٤ (بدون تاريخ الطبعة) دار احياء التراث العربي بيروت-لبنان.

(٣) الشوكاني: هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني الخولاني ثم الصنعاني، أبو عبدالله مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، من تصانيفه: "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع"، و"فتح القدير" الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، توفى سنة ١٢٥٠هـ، انظر: معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة، ج٥٣/١١ (بدون تاريخ الطبعة) دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان.

(٤) فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ج ٤٩٥/٤ (بدون تاريخ) الناشر عالم الكتب.

(٥) البيضاوي: هو القاضي ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد بن علي قاضي القضاة البيضاوي من مؤلفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، منهاج الأصول إلى علم الأصول، المنهاج الوجيز، وتوفى سنة ٦٩١هـ، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ج٥/ ٣٩٢-٣٩٣، ط: الثانية: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الميسرة، بيروت.

(٦) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي على تفسير البيضاوي للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد ج ٢٦٩/٨. الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

(٧) ابن الجوزي: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله القرشي، التميمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، المعروف بابن الجوزي (جمال الدين أبو الفَرَج) محدث، حافظ، مفسر، فقيه، واعظ، أديب، مؤرخ، مشارك في أنواع

الآخرة."[١]

بيّن الله تعالى عرض آل فرعون على النار إجمالاً في الآية الكريمة. ولا نعرف كيفية عرضهم على النار حتى بينت السنة النبوية حال الموتى بعد وفاتهم. استدل ابن عاشور بالحديث النبوي في تفسير بيان الإجمال الذي هو في كيفية عرض آل فرعون على النار.

المطلب الثاني:

بيان التأكيد بالسنة المطهرة:

تعريف التأكيد:

"هو أن تأتي السنة مطابقة لما في القرآن فتكون مؤكدة له ويكون الحكم مستمدا من مصدرين القرآن مثبتاً له والسنة مؤيدة".[٢]

التأكيد وجه من أوجه تفسير السنة[٣] للقرآن الكريم فإن السنة تأتي لتأكيد الذي ورد في القرآن قبله. لذا اهتم المفسرون بهذا الوجه، وابن عاشور لم يغفل هذا الجانب بل يفسر الآيات مؤكدة بالسنة النبوية كما يتبين ذلك من المثالين الآتيين من تفسيره:

أخرى من العلوم. من مؤلفاته الكثيرة: زاد المسير في علم التفسير، المغني في علوم القرآن، تذكرة الأريب في اللغة ، جامع المسانيد في سبع مجلدات وغيرها، توفي سنة ٥٩٧هـ. انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، ج٥/ ١٥٧.

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين ج ٨٤/٧. الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي. ج ١٢٧/٢، ط: الثالثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، دار الفكر، بيروت-لبنان.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج ١٢٧/٢، والتفسير والمفسرون للذهبي: ج ٤١/١، وأصول الفقه الإسلامي، للدكتور وهبة الزحيلي، ج ٤٦١/١، كتب خانه رشيدية، بشاور – باكستان.

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[١]

"وذلك أن شأن المناكر أن يبتدئها الواحد أنّ النَّفر القليل، فإذا لم يجدوا من يغير عليهم تزايدوا فيها، ففشت، واتبع فيها الدهماء بعضهم بعضا حتى تعم ويُنسى كونها مناكر فلا يهتدي الناس إلى الإقلاع عنها والتوبة منها فتصيبهم لعنة الله. وقد روى أبو داود[٢]... عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان الرجل من بني إسرائيل يلقى الرجل إذا رآه على الذنب فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وخليطه وشريبه، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، ثم قرأ: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل) إلى قوله تعالى (فاسقون) [٣] ثم قال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم".[٤]

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٩.

(٢) أبو داود السجستاني: هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني، أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله، وكان في الدرجة العالية من النسك والصلاح، وجمع كتاب "اللسان" قديماً وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فاستجاده واستحسنه، ولادته في سنة اثنتين ومائتين وتوفي خمس وسبعون ومائتين. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: ج ٢/٤٠٤، ٤٠٥، ط: ١٣٩٧هـ، دار صادر، بيروت-لبنان.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٨-٨١.

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ح ٤٣٣٦، ص ٦٠٩، قال الألباني: ضعيف. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة لمحمد ناصر الدين الألباني. ج ٣/٢٢٧. ح ١١٠٥. ط: الأولى: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م. مكتبة المعارف الرياض. تفسير ابن عاشور: ج٥/١٨١.

ب – وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]

"أي أنهم يؤتون أجرين على إيمانهم، أي يضاعف لهم الثواب لأجل أنهم آمنوا بكتابهم من قبل ثم آمنوا بالقرآن، فعبر عن مضاعفة الأجر ضعفين بالمرتين تشبيهاً للمضاعفة بتكرير الإيتاء وإنما هو إيتاء واحد. وفائدة هذا المجاز إظهار العناية حتى كأن المثيب يعطي ثم يكرر عطاءه ففي (يؤتون أجرهم مرتين) تمثيلية، وفي الصحيح عن أبي موسى[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدركني فآمن بي واتبعني وصدقني فله أجران..." الحديث. [3]

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٤.

(٢) أبو موسى: عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر الأشعري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى أرض الحبشة وافتتح أبو موسى أصبهان سنة ثلاثة وعشرين، ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لعزالدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري: ج ٣/٣٦٧، (بدون تاريخ) دار الشعب بالقاهرة، مصر.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، عن أبي بردة عن أبيه ح ٩٧ ص ٢٢ . تفسير ابن عاشور: ج ٢٠/٧٧، ٧٨.

المبحث الثالث

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال الصحابة

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب

تمهيد: سأبين منهج ابن عاشور في تفسيرالآيات المتعلقة باهل الكتاب.

تفسير الصحابة هو المصدر الثالث في فهم القرآن الكريم بعد تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة النبوية؛ لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، فإنهم اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح. (١)

المطلب الأول:

تفسير الآية بقول الصحابي:

اهتم ابن عاشور بتفسير الآيات بأقوال الصحابة رضي الله عنهم وإليك مثالين من تفسيره يوضحان ذلك:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(٢)

هذه الآية خاصة بالنصارى وفيها مدح لهم كما ذهب إليه بعض المفسرين ومنهم ابن كثير قال: "وهذا الصنف من النصارى".(٣)

وقال القرطبي(٤): "وبيّن أن أقربهم مودة النصارى". (٥)

وقال الشوكاني: "ثم وصفهم الله سبحانه بأنهم لا يستكبرون عن قول الحق، بل هم متواضعون، بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك". (٦)

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية: ص: ٣٠ (بدون تاريخ الطبعة) المكتبة العلمية، لاهور-باكستان.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٩١/١.

(٤) القرطبي: هو الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، القرطبي، صاحب كتاب التذكرة بأمور الآخرة، والتفسير الجامع لأحكام القرآن، كان إماماً علماً متفننا، متبحراً في العلم، له تصانيف مفيدة. توفى سنة ٦٧١هـ، انظر: طبقات المفسرين لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص: ٩٢، ط: الأولى،١٣٩٦هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. ج ٢٥٩/٦، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان.

(٦) انظر: فتح القدير للشوكاني ج ٦٨/٢.

وقال أبو السعود [١]: "تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين..." [٢]

وقال ابن الجوزي: "والمعنى بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى عليه السلام من أمر محمد صلى الله عليه وسلم" [٣]

كما قلنا أن هذه الآية من حيث السبب خاصة بالنصارى لكن مع ذلك نعمل هنا على قاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب". فاعتبار عموم اللفظ يقتضي أن المراد بالآية عاماً وليس المراد بها أناس بأعيانهم.

"...ويعضد هذا ما ذكره الطبري [٤] والواحدي [٥] وكثير من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد [٦] وغيرهما: أن المعنى في هذه الآية ثمانية [٧] من نصارى الشام كانوا في بلاد الحبشة

---

(١) أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي الإمام العلامة، برع في جميع الفنون وفاق الأقران، صار قاضياً ثم مفتياً بقسطنطينية، من تصانيفه: تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. توفى سنة ٩٨٢هـ. انظر: شذرات الذهب: لابن العماد ج ٣٩٨/٨، ٣٩٩.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي ج ٧٢/٣، الطبعة الرابعة: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار احياء التراث العربي بيروت-لبنان.

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٢٤٥/٢.

(٤) الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل طبرستان ولد ٢٢٤هـ وتوفي ٣١٠هـ. من مؤلفاته: "جامع البيان في تفسير القرآن"، و"أخبار الأمم وتاريخهم"، و"تهذيب الآثار" وغيرها. انظر: سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي ج ٢٦٧/٤، ط: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت- لبنان.

(٥) الواحدي: هو الإمام العلامة، الاستاذ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل، من أولاد التجار. من تصانيفه: "أسباب النزول" و"التحبير في الأسماء الحسنى" توفي سنة ٤٦٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٦٢٧/١٣، ٦٢٨.

(٦) مجاهدبن جبر: الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، روى عن ابن عباس رضي الله عنه فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وروى عنه ابن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن مجاهد، قال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله فيم نزلت، وكيف كانت. وقال خصيف: كان مجاهد أعلم

(٧) وهم: بحيرا الراهب، وإدريس، وأشرف، وأبرهة، وثمامة، وقثم، ودريد، ولمن. تفسير ابن عاشور: ج ١٨٦/٥.

وأتوا المدينة مع اثنين وستين راهباً من الحبشة مصاحبين للمسلمين الذين رجعوا من هجرتهم بالحبشة وسمعوا القرآن وأسلموا...". (١)

ب- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(٢)

"...فعن ابن عباس: هم اليهود الذين كانوا في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا قبل مبعثه مقرين بنبي يأتي، فلما جاءهم العلم، وهو القرآن اختلفوا في تصديق محمد عليه الصلاة والسلام...". (٣)

المطلب الثاني: تحديد المعنى المبهم(٤) بقول الصحابي:

قد يحدّد ابن عاشور المبهمات القرآنية بأقوال الصحابة ومن الأمثلة على ذلك:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾(٥)

---

(١) تفسير ابن عاشور: ج ١٨٦/٥. وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده بنحوه عن سعيد. تفسير ابن أبي حاتم ج١١٨٥/٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٣.

(٣) تفسير ابن عاشور: ج ١٧٥/١١. وأخرج الطبري بسنده عن ابن زيد بنحوه: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج١٦٧/١١، ط: الأولى: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار ابن حزم، بيروت-لبنان.

(٤) "هو اللفظ الذي خفيت دلالته على الحكم خفاء لذاته، لعارض من غير الصيغة، فتوقّف فهم المراد منه على شيء خارجي غيره، وقد يزول هذا الخفاء بالإجتهاد حيث يفهم المراد، وقد يتعذر زواله إلاّ ببيان من الشارع". أصول التفسير وقواعده لخالد عبدالرحمن العك. ص: ٣٤٣، (بدون تاريخ الطبعة) دار النفائس.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٠.

"...وقال الكلبي [١] عن أبي صالح [٢] عن ابن عباس أن الخصومة[٣] بين منافق ويهودي، فقال اليهودي "لننطلق إلى محمد" وقال المنافق "بل نأتي كعب بن الأشرف[٤] اليهودي" وهو الذي سمّاه الله الطاغوت." [٥]

ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة كلمة الطاغوت، ولم يذكر من هو وإذن أصبح فيها نوع من الإبهام. حدّد ابن عباس معنى هذا المبهم، فقال: الطاغوت هو كعب بن الأشرف، لأن المنافق كان يريد أن يتحاكم إليه بدلاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أ- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ... ﴾[٦] وقال ابن عباس والحسن[٧] وقتادة[٨] ومجاهد

---

(١) الكلبي: ابو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م). عالم نسابة، مفسر، اخباري، ولد بالكوفة وشهد وقعة دير الجماجم مع ابن الاشعث، توفي بالكوفة. من آثاره: "تفسير القرآن". انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة لياسين صلواتي ج ١/١٢٠.

(٢) أبو صالح: ويقال: باذان. عن مولاته أم هانئ، وأخيها علي، وأبي هريرة، وابن عباس. حدّث عنه: أبو قلابة، والأعمش، والسدّي ومحمد بن السائب الكلبي وغيرهم. وهو آخر من روى عنه. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥/٥٢٢.

(٣) لم أعثر على تفصيل هذه الخصومة في كتب التاريخ المتوفرة لديّ.

(٤) كعب بن الأشرف: شاعر جاهلي من طيّئ وأمه من يهود بني نضير. كان يحرض قريشاً على المسلمين بعد بدر ثم عاد من مكة للمدينة فشبب بالمسلمات فتواعد نفر من الأنصار على قتله. قتله محمد بن مَسلمة (ت ٥٣هـ). انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص ٥٩٠.

(٥) تفسير ابن عاشور ج ٤/١٧١. وأخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس بمعناه. جامع البيان للطبري ج ٥/١٨٥.

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

(٧) الحسن: هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، مولى الانصار، كان فصيحاً، حافظاً، فقيهاً، وكان شيخ أهل البصرة، توفي سنة ١١٠هـ، ينظر: تهذيب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ٢/٢٦٣-٢٧٠، ط: الأولى، ١٣٢٦هـ، دار صادر، بيروت.

(٨) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، كان من أوعية العلم، ويضرب به المثل في قوة الحفظ، حجة بالإجماع إذا بين السماع، توفي سنة ١١٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٥/٣٧٧-٣٨١.

وعكرمة [١]: المراد بـــ(شاهد من بني إسرائيل) عبدالله بن سلام..." [٢]

بيّن ابن عاشور المراد من كلمة "شاهد" أن المراد منه. عبدالله بن سلام ثم ذكر قول الصحابي في تأييده.

ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

استخلصت مما سبق النقاط التالية:

١- يذكر ابن عاشور أقوال الصحابة في تفسير الآية ويكتفي بها في تفسيرها.

٢- يذكر ابن عاشور في تفسير جزء من الآية أقوال الصحابة كما يذكر اسم التابعي الذي روى عنه.

٣- قد يشرح قول الصحابي الذي يورده في تفسير الكلمة القرآنية.

لاحظنا من خلال الأمثلة المذكورة التي تتعلق بتفسير القرآن بأقوال الصحابة أن المؤلف قد اعتنى بهذا الجانب، لكن رغم ذلك هو مقل بإيراد أقوال الصحابة في تفسير القرآن الكريم.

---

(١) عكرمة: هو عكرمة البربري أبو عبدالله المدني، العبد العالم، مولى ابن عباس، أخذ التفسير عن ابن عباس، فصار عالماً به، وكان فقيهاً توفي سنة ١٠٤هـ. ينظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر: ج ٧/٢٦٣-٢٧٣.

(٢) عبدالله بن سلام: هو عبدالله بن سلام بن الحارث، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار رضي الله عنه، من خواص النبي صلى الله عليه وسلم، حدث عنه أبو هريرة رضي الله عنه، وعبدالله بن معقل وعبـــدالله بـــن حنظلة وابناه يوسف، ومحمد وغيرهم قال محمد بن سعد: إسمه الحصين فغيره النبي صلى الله عليه وسلم بعبدالله، أســـلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو من أحبار اليهود، توفي سنة ٤٣هـ، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: ج ٤/١٠٢-١٠٤، ط: الثانية ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م، دار الكتـــب العلمية، بيروت-لبنان، تفسير ابن عاشور ج ١٨/٢٧. وأخرجه البخاري في كتاب الأنصار، باب مناقب عبدالله بـــن سلام، عن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال النبي صلى الله عليه وسلم: وفيه نزلت هذه الآية (وشهد شاهد مـــن بـــني إسرائيل على مثله) الأحقاف ١٠ الآية. قال: لا أدري قال مالك: الآية أو في الحديث. ح: ٣٨١٢. ص: ٦٤٠.

المبحث الرابع

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقـــة بأهل الكتاب بأقوال التابعين

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب

تمهيد: سأتناول منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة باهل الكتاب باقوال التابعين

الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، وحينما كان يشكل عليهم الأمر ويخفى عليهم شيء كانوا يرجعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعندما انتقل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى عمل الصحابة بقول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "نضر الله إمرا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه".[١] لذا نشروا هذا العلم الذي أخذوه من المعين الصافي وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أيدي هؤلاء الصحابة تخرج الجيل الذي بعدهم والذي نسميه جيل التابعين الذين نقلوا التراث العلمي إلى من بعدهم.

وقد اشتهر بعض التابعين بالتفسير ودقة الفهم لقربهم من عهد النبي صلى الله عليه وسلم. كما وصفهم النبي الكريم في قوله: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..."[٢] ولذا فإن جمهور العلماء يأخذون بقول التابعي في تفسير القرآن.

ولذلك يرجع إلى أقوالهم في التفسير إذا لم يوجد في القرآن ولا في السنة ولا عن الصحابة كما قال ابن تيمية[٣]: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن

---

(١) سنن أبي داؤد كتاب العلم باب فضل نشر العلم، ح: ٣٦٦٠، والحديث مروي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، ص ٥٣٥. وقال الألباني: صحيح، ورجاله كلهم ثقات. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ح:٤٠٤، ج ٧١٦/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، عن عبدالله بن مسعود ح: ٣٦٥١، ص: ٦١٢.

(٣) ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية، الحراني، ثم الدمشقي، الحنبلي، شيخ الإسلام (تقي الدين أبو العباس) محدث، حافظ، مفسر، فقيه، مجتهد، مشارك في أنواع من العلوم. من مصنفاته الكثيرة: مجموعة فتاوية في خمس وثلاثين مجلدات، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، وقواعد التفسير وغيره، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة. ج٦٦١/١.

الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين،...فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن. فليتفطن اللبيب لذلك." [1]

المطلب الأول: تفسير الآية بقول التابعي:

نجد في تفسير ابن عاشور أن مؤلفه يفسر الآيات بأقوال التابعين، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[2]

"...وأخبار مروية عن بعض التابعين بأسانيد لبيان المتحدث به، فعن السدي[3] كان بعض اليهود يحدث المسلمين بما عذب به أسلافهم...". [4]

ب- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[5]

"...يحتمل أن يكون السامري[6] نسبا إلى قرية اسمها السامرة من قرى مصر، كما قال بعض

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية. ص: ٤٤، ٤٥. والتحبير في علم التفسير للسيوطي. ص: ٣٢٤؛ ط: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، الناشر دار المنار القاهرة-مصر.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٧.

(٣) السدي: (١٢٨هـ-٧٤٥م) هو إسماعيل بن عبدالرحمن السدي، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفًا بالوقائع وأيام الناس. ينظر: الأعلام للزركلي: ج ٣١٢/١.

(٤) تفسير ابن عاشور ج ٥٥٢/١. وأخرجه ابن أبي حاتم عن السدي:... هولاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به، فقال بعضهم: اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب؟ فقالوا: لنحن أكرم على الله منكم وأحب إلى الله منكم. انظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين للإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن ادريس الرازي ابن ابي حاتم. وحققه اسعد محمد الطيب ج١/١٥٠. ط: الثانية: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. المكتبة العصرية بيروت.

(٥) سورة طه، الآية: ٨٥.

(٦) السامري: اسرائيلي أضل قومه في غياب موسى، أمرهم أن يقذفوا بحليهم في النار، وأخرج لهم عجلا جسداً من ذهب، عبدوه برغم تحذير هارون لهم (طه: ٨٥-٩٧). ينظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلاواتي: ج ١٩٢٣/٥.

أهل التفسير، فيكون فتى قبطياً اندس في بني اسرائيل لتعلقه بهم في مصر أو لصناعة يصنعها لهم. وعن سعيد بن جبير[١]: كان السامري من أهل (كرمان) [٢] وهذا يقرب أن يكون السامري تعريب كرماني بتبديل بعض الحروف وذلك كثير في التعريب".[٣]

المطلب الثاني: تحديد المعنى المبهم بقول التابعي:

اهتم ابن عاشور بتحديد المبهمات القرآنية بأقوال التابعين وتوضيحه كما يلي:

المثال الأول:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[٤]

"...ويؤيده ما روي عن قتادة أن دار الفاسقين هي دار العمالقة[٥] والجبابرة، وهي الشام، فمن الخطأ تفسير من فسروا دار الفاسقين بأنها أرض مصر فإنهم قد كانوا بها وخرجوا منها و لم يرجعوا إليها،...".[٦]

---

(١) سعيد بن جبير: الإمام الحافظ المقري، المفسر الشهير، أبو محمد، ويقال: أبو عبدالله الأسدي أبو لبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام. روى عن ابن عباس رضي الله عنه فأكثر وجوّد، حدثنا علي المديني، قال: ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير، انظر: كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي: ج ٢٨٧/٥، ٢٨٨.

(٢) كرمان: (قديماً كرمانا) مدينة، (٢٥٠٠٠ نسمة) ج. شرقي إيران. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلاواتي: ج ٢٨٣٧/٦. وأخرج ابن حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان السامري من أهل كرمان: انظر: تفسير ابن أبي حاتم ج ٢٤٣٢/٧.

(٣) تفسيرابن عاشور: ج ١٦٢/١٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

(٥) العمالقة: قدماء العرب، وخاصة أهل شمالي الحجاز مما يلي شبه جزيرة سينا، فتحوا مصر باسم الشاسو (البدو أو الرعاة). كان العمالقة على علاقة بالكنعانيين والأموريين والإسرائليين. نهب العمالقة الشعب اليهودي في أثناء هروبه من مصر، واندسوا بينه هاجموه، ولكنه انتصر عليهم بزعامة يشوع. وكان العمالقة جزءا من الجيش الذي جرده ايجلون ملك مؤاب لمضايقة إسرائيل. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، للدكتور ياسين صلاواتي: ج ٢٤٦٨/٥.

(٦) تفسير ابن عاشور ج ٢٨٥/٨. وذكره ابن جرير الطبري بنحوه: وقال آخرون: معنى ذلك: سأدخلكم أرض الشام، فأريكم منازل الكافرين، الذين هم سكانها، من الجبابرة والعمالقة . تفسير الطبري ج ٧٦/٦.

ذكر الله عزوجل أن يرى دار الفاسقين لكن لم يبين ما هي دارهم. فوجد فيه إبهام وحدّد قتادة معنى المبهم فقال: دار الفاسقين هي دار العمالقة وهي الشام. أخذ ابن عاشور قول هذا التابعي وأيّد به رأيه الذي ذهب إليه.

المثال الثاني:

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾[1]

"وقد اختلف المفسرون في ماهية هذين الخصمين، فقال السدّي والحسن ووهب بن منبّه[2] : كانا ملَكَين أرسلهما الله في صورة رجلين لداود عليه السلام لإبلاغ هذا المثل إليه عتاباً له".[3]

أورد سبحانه وتعالى الخصومة بين الخصمين و لم يبين حال الخصمين، فكان حالهما مبهما. وحدّده السدي والحسن ووهب بن منبه بأن هذين الخصمين كانا ملكين تخاصما كتمثيل للخصومة.

ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال التابعين.

وقد توصلت من خلال الأمثلة المذكورة إلى منهج المفسر في الموضوع، والذي يتلخص في النقاط التالية:

١- أحياناً يختصر ابن عاشور في تفسير الآيات أقوال التابعين، وذلك أنه لا يذكر الأسانيد ومتون الأخبار كاملة.

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٢.

(٢) وهب بن منبه: هو أبو عبدالله وهب بن منبه الصنعاني، ولد سنة ٣٤هـ، توفى ١١٤هـ وقيل غير ذلك؛ ينظر: التاريخ الكبير لأبي عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري: ١٦٤/٨، (بدون تاريخ) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٣) تفسير ابن عاشور ج ١٣٦/٢٣. وأخرج هذا القول ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ج ٣٢٣٨/١٠.

٢- قد يأخذ رأياً في تفسير الآية الذي يكون أقرب إلى الصواب عنده ويذكر قول التابعي لتأييده.

وجدنا في تفسير (التحرير والتنوير) أن ابن عاشور لم يترك جانبا من جوانب التفسير إلا وقد اهتم به اهتماماً. ولذلك يفسر القرآن بأقوال التابعين كما مرت بنا الأمثلة آنفاً. ومع هذا فهو ليس من المكثرين في ذكر أقوال التابعين رضوان الله عليهم أجمعين بل هو من المقلين.

الفصل الثاني

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالنقل عن المصادر غير الإسلامية

المبحث الأول

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالإسرائيليات المروية عن مسلمة أهل الكتاب

تمهيد: نبذة عن الإسرائيليات

أولاً: الإسرائيليات لغة: جمع إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل.[١]

ثانياً: الإسرائيليات اصطلاحاً:

"الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية وهي قصة أو حادثة تروي عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثنى عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل.. ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص التي تروي أصلا عن مصادر يهودية، ويستعمله علماء التفسير والحديث يطلقونه على ما هو أوسع واشمل من القصص اليهودية، فهو يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرها".[٢]

المطلب الأول

ثالثاً: تسرب الإسرائيليات إلى التفسير:

إن دخول الإسرائيليات في التفسير، أمر يرجع إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم، وذلك نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل، مع فارق واحد، هو الإيجاز في القرآن والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل، والرجوع إلى أهل الكتاب كان مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة (وبالأحرى بعض الصحابة) ... "غير أن الصحابة رضي الله عنهم لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، و لم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدوا أن تكون توضيحا للقصة وبياناً لما أجمله

---

(١) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ص: ١٢، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ ، الناشر مكتبة السنة القاهرة- مصر.

(٢) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث: لمحمد حسين الذهبي : ص ١٣، ط: الرابعة ١٤١١هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.

القرآن منها، مع توقفهم فيما يلقى إليهم، فلا يحكمون عليهم بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا... ﴾". (١)

... كذلك كان الصحابة لا يصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة... ومهما يكن من شيء فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يخرجوا عن دائرة الجواز التي حدّدها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما فهموه من الإباحة في قوله صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"(٢) ... أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من إحداث يهودية أو نصرانية... ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات، وافرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولا.(٣) "والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل الكتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه نفوس البشرية في أسباب المكونات وبدأ الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم. وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى".(٤)

---

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٤٦، الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء" عن أبي هريرة،ح ٧٣٢٢ ص ١٢٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، عن عبد الله بن عمرو، ح ٣٤٦١ص ٥٨٢.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي، ج ١١٤/١-١١٩، والاتقان في علوم القرآن، تحت عنوان "طبقة التابعين" لجلال الدين السيوطي، تحقيق: حامد أحمد الطاهر البسيوني، ج ٤٩٨/٢، ٤٩٩، ط: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، الناشر: دار الفجر للتراث-القاهرة.

(٤) انظر: مقدمة ابن خلدون، ج ١٢١/٢، ط: الثالثة ١٤١٧هـ المكتبة التجارية، مكة المكرمة، السعودية.

ولهذا السبب اشتغلوا بالأخذ عن أهل الكتاب عند ما بعُد الزمن فدخل الإسرائيليات أكثر من ذي قبل، وأغلب هذه الإسرائيليات كان من نوع الخرافة حتى جاء عصر التدوين فبدأ العلماء بتنقيح هذه الإسرائيليات حسب قدرتهم.

المطلب الثاني:

منهج ابن عاشور في إيراد الإسرائيليات:

المقصد الأول:

التعقيب على الإسرائيليات:

يلاحظ في تفسير ابن عاشور أن مؤلفه عقب على الروايات الإسرائيلية بالبراهين النقلية والعقلية كما يتبين ذلك من بعض الأمثلة من تفسيره.

المثال الأول:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ...﴾[1]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

"... ولأهل القصص هنا قصة خرافية [1] من موضوعات اليهود في خرافاتهم.

---

(١) هذه القصة أوردها الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بسنده فقال: حدثنا يحيى بن أبي بُكير، حدثنا زُهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر، أنه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن آدم صلى الله عليه وسلم لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض، قالت الملائكة: أي رب، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. قال: إني أعلم مالا تعلمون. قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة، حتى يهبط بهما إلى الأرض، فننظر كيف يعملان. قالوا: ربنا، هاروت وماروت. فأهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما فسألاها نفسها، فقالت: لا والله، حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: والله لا نشرك بالله أبدا. فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله، حتى تقتلا هذا الصبي، فقالا: والله لا نقتله أبداً. فذهبت، ثم رجعت بقدح خمر تحمله، فسألاها نفسها. فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر. فشربا، فسكرا فوقعا عليها، وقتلا الصبي، فلما أفاقا، قالت المرأة: والله ما تركتما شيئا مما أبيتماه عليّ إلا قد فعلتما حين سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا". انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنووط وزملائه، ج ١٠/٣١٧،٣١٨ ح: ٦١٧٨، ط: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان

وقال الألباني في هذا الحديث؛ أنه باطل مرفوعاً، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج ٣١٤، ح: ١٧٠.

لم يقبل علماء الحديث هذه الرواية لأنها تخالف موقف القرآن الكريم وهو عصمة الملائكة، كما قال فخرالدين الرازي: واعلم أن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة لأنه ليس في كتاب الله ما يدل على ذلك، بل فيه ما يبطلها من وجوه، الأول: ما تقدم من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة عن كل المعاصي، انظر: مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، ج ٣/١٩٩، ط: الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

أمّا من ناحية السند فالرواية ضعيفة، فيه موسى بن جبير وهو متكلّم.

أ- قال ابن أبي حاتم عن هذا الحديث: منكر. انظر: علل الحديث لابن أبي حاتم، للإمام أبي محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم وحققه أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري. جـ ٣/٦٢، ح: ١٤٩٩، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م. الناشر: الفاروق الحديثة القاهرة.

ب- وقال ابن حبان: يخطئ ويخالف، انظر: كتاب الثقات للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي جـ ١٠/٣١٨، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ١٩٨١م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند.

الحديثة اعتاد بعض المفسرين ذكرها منهم ابن عطية [١] والبيضاوي وأشار المحققون مثل البيضاوي والفخر وابن كثير والقرطبي وابن عرفة [٢] إلى كذبها وأنها من مرويات كعب الأحبار[٣] وقد وهم فيها بعض المتساهلين في الحديث فنسبوا روايتها عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن بعض الصحابة بأسانيد واهية والعجب للإمام أحمد بن حنبل رحمه

ج- وقال الحافظ ابن حجر في موسى هذا: أنه مستور، انظر: تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء ج ٢/ ٢٢١ طبعة مصورة، (بدون تاريخ) قديمي كتب خانه كراتشي.

د- وقال الألباني: لو ان ابن حبان أورده في كتابه ساكتاً عليه كما غالب عادته، لما جاز الاعتماد عليه؛ لما عرف عنه من التساهل في التوثيق، فكيف وهو قد وصفه بقوله: " يخطئ ويخالف" فكيف يكون ثقة ويخرج حديثه في " الصحيح"؟! ومن أين لنا أن نعلم إذا كان حديث بهذا الحديث من كتابه، أو من حفظه؟ وقد استنكره جماعة من الأئمة المتقدمين، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني جـ ١/٣١٤-٣١٦، ح: ١٧٠.

هـ- وقال محقق مسند الإمام أحمد شعيب: اسناده ضعيف ومتنه باطل، انظر: مسند الإمام أحمد وحققه شعيب الأرنووط وزملاؤه جـ١٠/٣١٨.

(١) ابن عطية (٤٨١-٥٤٢هـ ١٠٨٨-١١٤٨م) عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر، فقيه اندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بالورقة. له "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" و"برنامج" في خزانة الرباط. وقيل في تاريخ وفاته سنة ٥٤١ و٥٤٦. ينظر: الأعلام للزركلي ج ٢٨٢/٣.

(٢) ابن عرفة (٧١٦-٨٠٣هـ ١٣١٦-١٤٠٠م) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ، أبو عبدالله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره. مولده ووفاته فيها. تولى إمامة الجامع الأعظم سنة ٧٥٠هـ ، وقدم لخطابته سنة ٧٧٢ وللفتوى سنة ٧٧٣هـ. من كتبه: "المختصر الكبير" في فقه المالكية، و" المختصر الشامل" في التوحيد و" مختصر الفرائض" وغيرها. ينظر: الأعلام للزركلي ج ٤٣/٧. والموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي ج ١٠٢/١.

(٣) كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن مائة وأربع سنين. انظر : الأعلام للزركلي، ج ٢٢٨/٥.

الله[١] كيف أخرجها مسندة للنبي صلى الله عليه وسلم ولعلها مدسوسة على الإمام أحمد أو أنه غره فيها ظاهر حال رواتها مع أن فيهم موسى بن جبير[٢]

وهو متكلّم فيه واعتذر عبدالحكيم[٣] بأن الرواية صحيحة إلا أن المروي راجع إلى أخبار اليهود فهو باطل في نفسه ورواته صادقون فيما رووا وهذا عذر قبيح لأن الرواية أسندت إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عرفة في تفسيره:[٤] وقد كان الشيوخ يخطئون ابن عطية في هذا الموضع لأجل ذكره القصة. ونقل بعضهم عن القرافي[٥] أن مالكاً[٦] رحمه الله أنكر ذلك في حق هاروت وماروت".[٧]

---

(١) الإمام أحمد: هو الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي، الشيباني، البغدادي، شيخ الإسلام، وأحد الأئمة الأعرم، كان إمام المحدثين، وكان زاهداً ورعاً كريما، توفى سنة ٢٤١هـ. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ١ج/٦٣، وسير أعلام النبلاء : للذهبي، ج ٩/٤٣٤-٥٤٧.

(٢) موسى بن جبير مولى بني سلمة، روى عن أبي أمامة بن سهل، ونافع مولى ابن عمر، وعبد الله بن كعب بن مالك، وروى عنه: يحيى بن أيوب، وبكر بن مضر، وابن لهيعة، وزهير بن محمد، وسعيد بن سلمة، انظر: الجرح والتعديل للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء ج ٨/١٦٠، الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

(٣) راجعت كتب الأدب وكتب التراجم فلم أعثر على ترجمة له.

(٤) هو الإمام الفاضل أبو عبدالله محمد بن عرفة المالكي المتوفى سنة ٨٠٣هـ ، روى عنه تلميذه أحمد بن محمد البتيلي المتوفى سنة ٨٠٣هـ وجمع ما حفظه عنه أو عن بعض حذاق طلبته زيادة على كلام المفسرين. انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة، ج ١/٤٣٩، ط: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار الفكر، بيروت – لبنان.

(٥) القرافي: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي، من علماء المالكية، نسبته إلى قبيلة صنهاجة وإلى القرافة. وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها: (أنوار البروق في أنواء الفروق) و(الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام) و (الذخيرة) في فقه المالكية، وغيرها، توفي سنة ٦٨٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي جـ ١/٩٠.

(٦) هو شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك، الأصبحي المدني، أحد أئمة الأعلام، لم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكاً في العلم والفقه والجلالة والحفظ. توفى سنة ١٧٩هـ. انظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان، ج ٤/١٣٥، وسير أعلام النبلاء : للذهبي، ج ٨/٤٨-١٣٠.

(٧) هاروت وماروت: وكانا من الملائكة...ومطيعين لله عزوجل، هبطا بالسحر ابتلاء من الله لخلقه. تفسير مقاتل بن سليمان للإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء البلخي تحقيق: أحمد فريد،

المثال الثاني: قال ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]

"... واليهود يقولون: إن الابن الذي أمر الله إبراهيم عليه السلام بذبحه وفداه الله هو إسحاق عليه السلام، والحق أن الذي أمر بذبحه هو إسماعيل عليه السلام في صغره حين لم يكن لإبراهيم ولد غيره ليظهر كمال الإمتثال ومن الغريب أن التوراة لما ذكره قصة الذبيح وصفته بالابن الوحيد لإبراهيم عليه السلام ولم يكن إسحاق وحيداً قط..."[2]

وذكر الشيخ نفس القصة في مقام آخر وهوعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[3]

"... وقد أشارت هذه الآيات إلى قصة الذبيح... واختلف علماء السلف في تعيين الذبيح فقال جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين هو إسماعيل عليه السلام... فإن قلت: فعلام جنحت إليه واستدللت عليه من اختيارك أن يكون لابتلاء بذبح إسماعيل عليه السلام دون إسحاق عليه السلام، فكيف تتأول ما وقع في "سفر التكوين"؟ قلت: أرى أن ما في "سفر التكوين" نقل مشتتا غير مرتبة فيه أزمان الحوادث بضبط يعين الزمن بين الذبيح وبين أخبار إبراهيم، فلما نقل النقلة التوراة بعد ذهاب أصلها عقب أسر بني إسرائيل في بلاد أشور زمن بختنصر [4] سجلت قضية الذبيح

ج:١/٦٨، ٦٩، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. تفسير ابن عاشور: ج ١/٦٢٤، ٦٢٥.

(١) سورة البقرة، الآية : ١٣٣.

(٢) تفسير ابن عاشور، ج ١/٧١٣، ٧١٤.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٠٣-١٠٧.

(٤) بختنصر بن ملك بابل (نابوبولصر) توفى بعد أبيه سنة ٦٠٧ ق م. انتزع بلاد الموصل وهاجم الإسرائيليين وأخذ منهم اقليم سوريا وكانت فلسطين تدفع الجزية لخوس ملك مصر، فرضيت بدفعها لملك بابل بدون قتال

في جملة أحوال إبراهيم عليه السلام وأدمج فيها ما اعتقده بنو إسرائيل في غربتهم من ظنهم الذبيح إسحاق. ويدل لذلك قول الإصحاح الثاني والعشرين وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم عليه السلام فقال خذ ابنك وحيدك..."[1].

ذكر ابن عاشور قصة الذبيح واختلاف العلماء فيه إلى قولين، فقال: أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وأيّد رأيه بالأدلة ومنها: أن الله أمر إبراهيم عليه السلام أن ياخذ ابنه وحيداً، ومن المعلوم فحينئذ لم يكن لإبراهيم إلا إسماعيل عليه السلام. وهو الذي ولد له ثلاث عشر سنة قبل إسحاق عليه السلام[2]، أما ما يعترض على هذا الراي ما ورد في الكتاب المقدس أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام. فأجاب ابن عاشور عنه فقال: هذا خطأ من كاتب التوراة. لأنها اعيدت كتابتها بعد أن ذهب أصلها بعد زمن طويل في الأسر البابلي. [3]

فتركها فاستقل ملكها يهويا قيم وناصب ملك بابل العداء فعاد إليه بختنصر وأسره وأخذه إلى بابل ومعه جماعة من أحبار اليهود ويقال إن منهم كان دانيال عليه السلام ثم عاد بختنصر لمحاصرة سوريا على الفنيقيين ... فجاء الملك البابلي وقتل خلقاً كثيرين وقتل صدقياً ونهب بيت المقدس وأحرق لمتعته وذلك سنة ٥٨٨ ق. م. فتشتت اليهود في البلاد وهربت منهم طائفة إلى مصر. انظر: دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي، ج٢/٥١، ٥٠، ط: الثالثة ١٩٧١م، دار المعرفة، بيروت.

(١) تفسير ابن عاشور ج: ٢٣/٧١، ٧٢.

(٢) المرجع السابق ج: ٢٣/٧.

(٣) الأسر البابلي: في تاريخ بني إسرائيل، الفترة ما بين سقوط أورشليم إلى إعادة بناء الهيكل بها التي قضى عليها بالتشتت في خلالها (دانيال ٩، ٢، زكريا ٧، ٥). وبعد سقوط أورشليم سيق آلاف اليهود أسرى إلى أرض الرافدين (بابل)، ولكنهم ظلوا في منفاهم متصلين ببني جلدتهم في فلسطين. في ٥٣٨ ق. م. أقر قورش العظيم الفارسي العقيدة اليهودية ثانية بأورشليم، وسمح لليهود بالعودة إليها. كان القرن التالي فترة ترابط اليهود فيها في وحدة قومية ودينية. أثرت فترة الأسر على الفكر والأدب العبرانيين. انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي، ج ١/٤١٧.

المثال الثالث:

قال ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[١]

"... ووقعت في كتاب الخروج من التوراة في الإصحاح الثاني والثلاثين زلة كبرى، إذ زعموا أن هارون عليه السلام صنع العجل لهم لما قالوا له: (اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأنا لا نعلم ما ذا أصاب موسى في الجبل فصنع لهم عجلاً من ذهب). وأحسب أن هذا من آثار تلاشي للتوراة الأصلية بعد الأسر البابلي وأن الذي أعاد كتبها لم يحسن تحرير هذه القصة. ومما نقطع به أن هارون عليه السلام معصوم من ذلك لأنه رسول"[٢].

أشار ابن عاشور إلى الخطأ الذي حدث في الكتاب المقدس، أن هارون عليه السلام صنع العجل لعبادة بني إسرائيل. وقال: هذا يستحيل أن يفعل هارون عليه السلام عمل الشرك لأنه ينافي عصمة الرسول. ولذلك عقب عليها بعد إيرادها.

المقصد الثاني:

السكوت عن الإسرائيليات:

سكت ابن عاشور عن الإسرائيليات في بعض الأحيان مع مخالفتها للشريعة الإسلامية كما يظهر ذلك من الأمثلة التالية من تفسيره:

أ- منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ...﴾[٣]

"... وقد كان اليهود يعتقدون كفر سليمان عليه السلام في كتبهم فقد جاء في سفر الملوك الأول أن سليمان عليه السلام في زمن شيخوخته أمالت نساؤه المصريات والصيدونيات [٤]

---

(١) سورة طه، الآية : ٨٥.

(٢) تفسير ابن عاشور ج ١٦/١٦٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٤) الصيدونيات: نسبة إلى إحدى المدن الفنيقية القديمة التي اشتهرت بالتجارة والملاحة كانت قاعدة لمملكة كنعان. دمرتها الزلازل ١٨٣٧ وأعاد بناءها سليمان باشا. زادت أهميتها بعد مدخط أنابيب الزيت إليها. أهم

والعمونيات [١] قلبه إلى آلهتهن.. وبنى لهذه الآلهة هياكل [٢] فغضب الله عليه لأن قلبه مال عن إله إسرائيل الذي أوصاه أن لا يتبع آلهة أخرى".[٣]

سكت ابن عاشور عن هذه الرواية الإسرائيلية و لم يعقب عليها وفيها مخالفة صريحة لعصمة النبي سليمان عليه السلام. أوردها الشيخ معتمدا منها على الكتاب المقدس. إذا ما كان ينبغي للشيخ أن يورد هذه الرواية الإسرائيلية وعند ذكرها كان عليه أن ينبه إلى مخالفتها للشريعة الإسلامية.

ب- وذكر الموضوع نفسه في مقام آخر وهوعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[٤]

"... أن سليمان اجتهد وسمح لنسائه المشركات أن يعبدن أصنامهن في بيوتهن التي هي بيوته أو بنى لهن معابد يعبدن فيها فلم يرض الله منه ذلك لأنه وإن كان قد أباح له تزوج المشركات فما كان ينبغي لنبيء أن يسمح لنسائه بذلك الذي أبيح لعامة الناس الذين يتزوجون المشركات وإن كان سليمان تأول أن ذلك قاصر على المرأة لا يتجاوز إليه...".[٥]

الرواية في قصة سليمان عليه السلام وسماحه لأزواجه في عبادة الأصنام فلم تثبت لا من السنة المطهرة ولا من الصحابة ولا من كبار التابعين وقد نقلها ابن عاشور من

آثارها قلعة البحر وقلعة القديس لويس وخان الفرنج. انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواني ج ٢٢٩٦/٥.

(١) العمونيات: نسبة إلى شعب ينحدر وفق التوراة من عمون بن لوط. هذه التسمية على قبائل سامية استقرت في شرقي الأردن ما بين اليبوك والبحر الميت. وكانوا في نزاع دائم مع الإسرائيليين رغم ما يفترض من انحدارهم من لوط العبراني، وانتهى تاريخ العمونيين باندماجهم تدريجياً مع باقي سكان شرقي الأردن في العهد اليوناني والروماني. كان العمونيون يعبدون الإله (ملكوم) ويقدمون الذبائح البشرية. وقد عبدوا كذلك (كموش) إله الموابين، انظر: المرجع السابق ج ٢٤٧٢/٥.

(٢) هياكل: مفرده هيكل البناء المرتفع (الضخم من كل حيوان) انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص : ٨٦٩.

(٣) تفسير ابن عاشور ج ٦١٣/١.

(٤) سورة ص، الآية : ٣٤.

(٥) تفسير ابن عاشور: ج ١٥٦/٢٣، ١٥٧.

الكتاب المقدس. ورد عليها علماء التفسير ومنهم الإمام الرازي الذي قال: "لو قلنا إن سليمان عليه السلام أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه، وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة، فكيف يؤاخذ الله سليمان عليه السلام بفعل لم يصدر عنه".[١]

وقال البيضاوي: "اتخاذ التماثيل كان جائزاً حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره".[٢]

وقال عبد الله بن أحمد النسفي:[٣] "وأما ما يروى من حديث... عبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود"[٤].

وقال نظام الدين النيسابوري: "وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع والسجود للصورة إذا كان بغير إذنه فلا عتب عليه"[٥].

رفض هؤلاء علماء التفسير أن يكون عتاباً على سليمان عليه السلام بعبادة زوجته للأصنام وذكروا أن هذه القصة من أباطيل اليهود. وبين بعض علماء التفسير قصة عبادة التماثيل وجاؤا برأي آخر وهو: بأن عتابه عليه السلام كان بسبب غفلة عن حال أهله.

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازي: جـ ٢٦/ ٣٩٣.

(٢) حاشية الشهاب على أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ج ١٥١/٨.

(٣) عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل ايذج (من كور أصبهان) نسبته إلى "نسف" ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات جليلة، منها: "مدارك التنزيل في تفسير القرآن"، و"كنز الدقائق" في الفقه و "المنار" و"كشف الأسرار" وغيرها، قال صاحب كشف الظنون عنه توفى سنة ٧٠١هـ، انظر: الأعلام للزركلي ج ٦٦/٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي: جـ ١٩٤/٣. طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق ١٩٢٤م القاهرة.

(٥) انظر: تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي: جـ ١٩٤/٣. طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق ١٩٢٤م القاهرة.

ومنهم: شهاب الدين الآلوسي [١] قال: "فعوتب بذلك حيث تغافل عن حال أهله".[٢]

وقال أبو السعود: "الخطيئة تغافله عليه الصلاة والسلام عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل لم يكن محظوراً حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره".[٣]

ونستخرج من هذه الأقوال لعلماء التفسير رأيين هما:

الرأي الأول: رفض قصة عبادة التماثيل وأنها من أباطيل اليهود.

والرأي الثاني: عوتب سليمان عليه السلام على غفلة عن حال أهله.

أما رأي ابن عاشور فيختلف عنهما وهو: أن سليمان عليه السلام سمح لنسائه المشركات أن يعبدن أصنامهن... أو بنى لهن معابد يعبدن فيها.[٤]

هذا الرأي عجيب لأنه كيف يتصور من نبي أن يبني معابد لعبادة الأصنام، ومن غير المناسب لأحد ذكر هذه القصة إلا مع بيان إبطالها بالبراهين، لكن أورد ابن عاشور هذه الإسرائيلية و لم يعقب عليها وسكت عنها.

ج- وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾[٥]

"... وقد كان بنو إسرائيل حين ازمعوا الخروج قد احتالوا على القبط [٦]

فاستعار كل واحد من جاره القبطي حلياً فضة وذهباً وأثاثاً، كما في الاصحاح ١٢ من سفر الخروج ...".[٧]

---

(١) محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي شهاب الدين أبو الثناء مفسر، محدث، أديب من المجددين من أهل بغداد من مؤلفاته: روح المعاني في التفسير، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، رحلة إلى الآستانة توفى ١٢٧٠هـ، انظر : الأعلام للزركلي ج ٥٣/٨، ٥٤.

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، ج ٢٦٤/٢٣، ط: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الفكر، بيروت.

(٣) انظر: تفسير لأبي السعود ج ٤٤١/٤.

(٤) تفسير ابن عاشور ج ١٥٦/٢٣.

(٥) سورة طه، الآية : ٨٧.

(٦) القبط: نسبة إلى قبط كلمة يونانية الأصل معناها سكان مصر. انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي ج ٢٧٠٣/٦.

(٧) تفسير ابن عاشور ج ١٦٦/١٦.

ذكر ابن عاشور هذه الرواية الإسرائيلية وأحال على الكتاب المقدس وهي تخالف الشريعة الإسلامية ويظهر منها أن بني إسرائيل احتالوا وذلك كان بأمر من موسى عليه السلام، وورد في الكتاب المقدس أن الله أمر موسى عليه السلام أن يقول لبني إسرائيل أن كل واحد يستعير من جاره حلياً.[١] فكيف يظن بنبيء أن يأمر قومه بغل ولذلك لم يأخذ شهاب الدين الآلوسي هذه الإسرائيلية وقال: "... وقد أضاف سبحانه وتعالى الحلي إليهم في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا ...﴾[٢] وذلك يقتضي بظاهره أن الحلي ملك لهم..."[٣]

وكذلك رد السيد أبو الأعلى المودودي [٤] على من أخذ بهذه الإسرائيلية [٥] وذكر كبار المفسرين [٦] عدة أقوال في تفسير قوله تعالى:

---

(١) انظر: الكتاب المقدس أي (العهد القديم والعهد الجديد) الإصحاح " من سفر الخروج ص : ١٦٩، (بدون تاريخ الطبعة) دار المشرق، بيروت .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٤٨.

(٣) انظر: روح المعاني للعلامة الآلوسي ج ١٦/٧٤٠.

(٤) المودودي: هوالإمام الداعية العلامة أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣-١٩٧٩) تعلم العربية وعلوم القرآن والحديث، وحفظ موطا الإمام مالك عن ظهر قلب وقد أنشأ الأستاذ المودودي "الجماعة الإسلامية" في "لاهور" سنة ١٩٤١م. إن العلامة السيد أبا الأعلى المودودي عالم متبحر في العلوم وله في كل ميدان صولات وجولات، فقد تناول في محاضراته وخطبه وكتبه ومقالاته، سائر جوانب الإسلام، و لم يدع موضوعاً، إلا طرقه ولا قضية إلا وبين الحكم فيها وعالجها، وفق التصور الإسلامي. انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، تأليف: المستشار عبدالله العقيل ص ٣٣١-٣٤١، ط: الثالثة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م دار التوزيع والنشر الإسلامية مصر القاهرة.

(٥) انظر: تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي ج ٣/١١٥، ط: الخامسة عشرة ١٩٩٤م، الناشرمؤسسة ترجمان القرآن لاهور – باكستان.

(٦) ومنهم: فخر الدين الرازي ينظر: التفسيرالكبير ج ٢٢/٨٩، والإمام البيضاوي ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ج ٦/٣٨٢، والإمام النسفي ينظر: تفسير النسفي حـ٢/٣٧٣، والخازن ينظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين حـ٣/٢١٠. ط: الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية بيروت. وأبو حيان ينظر: تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي: حـ ٦/ ٢٤٩. ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية- بيروت.

﴿ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ...﴾[١] فذكروا قصة استعارة الحلي لكن دون ترجيح قول على قول.

أما ابن عاشور فلم يذكر أقوالا كثيرة تحت هذه الآية بل اكتفى بإيراد قصة استعارة الحلي و لم يعقب عليها وسكت عنها.

د- وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ... إلى قوله ... وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاه﴾[٢]

"... وهذا النبأ الذي تضمنته الآية يشير به إلى قصة تزوج داود عليه السلام زوجة (أوريا الحثي) من رجال جيشه وكان داود رآها فمال إليها ورام تزوجها فسأله أن يتنازل له عنها وكان في شريعتهم مباحاً أن الرجل يتنازل عن زوجه إلى غيره لصداقة بينهما فيطلقها ويتزوجها الآخر بعد مضي عدتها وتحقق براءة رحمها كما كان ذلك في صدر الإسلام... فيجوز أن تكون الفتنة بالمعنى المشهور في تدبير الحيلة لقتل (أوريا) فعبر عنها بالفتنة لأنها أورثت داود مخالفة للأليق به من صرف نفسه عن شيء غيره، وعدم متابعته ميله النفساني وإن كان في دائرة المباح في دينهم...".[٣]

قصة داود عليه السلام مع أوريا؛ فيها آراء علماء التفسير وتفصيلها كالآتي:

أولاً: لم تثبت قصة زواج داود عليه السلام بزوجة أوريا بل الذي يذكر وينسب إلى داود عليه السلام هو بريء منه كما قال عماد الدين ابن كثير: "قد ذكر المفسرون قصة أكثرها مأخوذة من الإسرائيليات و لم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه...".[٤]

وقال العلامة الآلوسي: "... وللقصاص كلام مشهور لا يكاد يصح لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه...".[٥]

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٧.

(٢) سورة ص، الآية :٢١- ٢٥.

(٣) تفسير ابن عاشور ج ١٣٧/٢٣، ١٣٨.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير لابن كثير ج٣٢/٤.

(٥) انظر: روح المعاني للآلوسي ج ٢٤٦/٢٣.

وقال أبو حيان [١] :"... وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبـــوة طرحناه ..."[٢]

وقال البقاعي [٣] : "هذه القصة مقصورة على الفتنة لا تعلق لها بالخصومة وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود".[٤]

ثانيا: عتاب داود عليه السلام من قبل الله عزوجل لم يكن إلا لأنه خطب زوج أوريا.

كما قال فخر الدين الرازي[٥]: "فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه..."[٦]

ثالثاً: قد طلب داود عليه السلام من أوريا ليطلق زوجته حتى يتزوجها هو، فعاتبه الله ثم استغفر ربه فتاب عليه. كما قال الإمام الشوكاني:"... إنه طلب من زوج المرأة الواحدة أن يترل له عنها، ويضمها إلى نسائه..."[٧]

---

(١) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الجياني، الأندلسي (أثير الدين، أبو حيان) أديب، نحوي، لغوي، مفسر، محدث، مقرئ مؤرخ. من تصانيفه: البحر المحيط في تفسير القرآن، تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب، وعقد اللآلي في القراءات السبع العوالي وغيرها. وتوفى سنة ٧٤٥هـــ. انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ١٢/١٣٠.

(٢) انظر : البحر المحيط لأبي حيان ج ٣٧٨/٧.

(٣) البقاعي: هو الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، المحدث، المفسر الإمام العلامة المـــؤرخ، برع في جميع العلوم وفاق الأقران. من تصانيفه: المناسبات القرآنية، وعنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران. توفى -سنة ٦٧٠هـــ انظر: شذرات الذهب لابن العماد ج ٣٣٩/٧ – ٣٤٠، والبدر الطالع: للشوكاني: ج١/١٩-٢٢.

(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ج ٣٦١/١٦، ط: الثانية ١٤١٣هـــ - ١٩٩٢م، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة- مصر.

(٥) فخر الدين الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين، الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه، فخر الدين أبو عبدالله القرشي، التميمي، الطبرستاني، الرازي، الفقيه الشافعي، المفسر، إمام وقته في العلوم العقلية، أحد الأئمة في العلوم الشرعية، من تصانيفه: التفسير الكبير، والمحصول في أصول الفقه، توفي سنة ٦٠٤هـــ، ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤/٢٤٨.

(٦) مفاتيح الغيب للإمام الرازي، ج ٣٨٠/٢٦.

(٧) انظر: فتح القدير للشوكاني، ج ٤٦٠/٤.

وقال علاء الدين الخازن[١] : "... قال داود عليه السلام للرجل أنزل لي عن إمرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا...".[٢]

وقال الزمخشري [٣] : "والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصة داود عليه السلام ليس إلا طلبه من زوج المرأة أن يتزل له عنها فحسب...".[٤]

وقال السيد أبو الأعلى المودودي: طلب داود عليه السلام من الرجل الذي يقال له أوريا أن يطلق إمرأته كي يتزوجها فعاتبه الله ثم استغفر داود عليه السلام ربه فتاب عليه.[٥]

رابعاً: إن داود عليه السلام أراد أن يتزوج إمرأة أوريا فأمر أمير الجيش أن يقدم أوريا حتى قتل ثم نكح داود عليه السلام زوجته فهذا الذي عاتبه الله عليه ثم استغفر ربه فتاب عليه.

كما قال ابن جرير الطبري : "... وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قتل إمرأة واحدة؛ فلما قتل نكح فيما ذكر داود عليه السلام إمرأته...".[٦]

---

(١) الخازن: هو علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها وتوفى سنة ٧٤١هـ. من تصانيفه : "لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير يعرف بتفسير الخازن. و"عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام" في فروع الشافعية و"مقبول المنقول" في الحديث. انظر: الأعلام : للزركلي ج ٥/٥.

(٢) انظر: تفسير الخازن ج ٤/٣٧.

(٣) الزمخشري: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان؛ كان إمام عصره من غير مدافع، تشد إليه الرحال في فنونه. ومن تصانيفه: -"الكشاف" في تفسير القرآن العزيز و"المحاجاه بالمسائل النحوية" و"المفرد والمركب" و"الفائق" و"أساس البلاغة" وغيرها وتوفى سنة ٥٣٨هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥/١٦٨-١٧٤.

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام جاد الله محمود بن عمر الزمخشري، ج ٤/٨١(بدون تاريخ) دار الكتاب العربي- بيروت.

(٥) تفهيم القرآن للمودودي، ج ٤/٣٣٠.

(٦) تفسير الطبري ج ١٢/١٧٥.

وافق ابن عاشور رأي ابن جرير الطبري ومن ذهب مذهبهما: والذي يميل إليه قلبي هو الرأي الثالث وأراه صواباً وذلك أنه يوافق سياق القرآن، وهو رأي الشوكاني وعلاء الدين الخازن والزمخشري والمودودي ومن وافقهم.

وخلاصة كلامهم، أن قصة ذنب داود عليه السلام ما كانت إلا لطلبه من أوريا أن يترك زوجته ويتزوجها هو وهذا كان مباحاً ومعتاداً في المجتمع آنذاك. لكن كره أوريا أن يرد داود عليه السلام و لم يرض به أيضاً ووجد نفسه مجبراً أمام داود عليه السلام لأنه كان حاكماً ونبياً. ما كان ينبغي لداود عليه السلام أن يتمنى إمرأة أوريا وعنده نساء كثيرات، وبذلك عاتبه الله ثم استغفر داود ربه فتاب عليه ويؤيده التمثيل القرآني.

أما الآراء الأخرى فغير مطابقة للتمثيل الذي ورد في القرآن الكريم، ونرد على كل واحد منها بما يلي:

الرأي الأول:

لم تثبت قصة زواج داود عليه السلام بزوج أوريا ولا قريب منه.

كيف نرفض هذه القصة كلياً مع أنها مذكورة في التمثيل، ولو لم تكن بصورتها المشهورة، وأن عدداً من الصحابة والتابعين ذهبوا إليها منهم: ابن عباس وأنس بن مالك[1] وكبار التابعين ومنهم: مسروق [2] وسعيد بن جبير الذين بينوا أحوال القصة بين داود عليه السلام مع أوريا. وكذلك أورد هذه القصة كبار من المفسرين في تفاسيرهم كما مرت بنا آرائهم ولذلك لا نأخذ بالرأي الأول.

---

(١) أنس بن مالك بن النضر، الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المكثرين من الرواية عنه، شهد بدراً وأحد أو ما بعدها، ثم شهد الفتوح، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة المال والولد، وعاش أكثر من مائة سنة توفى سنة ٩٠هـ وقيل:٩١هـ وقيل ٩٣هـ، انظر:الإصابة لابن حجر: جـ١/٢٧٧.

(٢) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبدالله بن مرّ بن سلمان بن معمر الإمام، القدوة، العلم، أبو عائشة، الوداعي، الهمداني الكوفي، حدث هو عن: أبي بن كعب، وعمر وعن أبي بكر الصديق وعن أم رومان وغيرهم. وعنه: الشعبي، وإبراهيم النخعي، ويحيى بن وثاب، وعبدالله بن مرة وغيرهم. وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان ثقة له أحاديث صالحة. وتوفى سنة ٦٢هـ وقيل ٦٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي : جـ٥/١٠٢-١٠٥.

الرأي الثاني:

قصة خطأ داود عليه السلام ما كان إلا أنه خاطب داود عليه السلام خطبة أوريا.

فنجيب هذا الرأي أنه لا يوافق التمثيل الذي ورد في القرآن الكريم، لأنه جاء فيه قال أحد الخصمين لي نعجة واحدة فالمراد منه أنه يملكها وإلا فلا يفيد هذا الكلام. إذ لا تقتصر القصة على خطبة داود عليه السلام زوج أوريا.

والرأي الرابع:

أن داود عليه السلام طمع في الزواج بإمرأة أوريا وأمر أمير الجيش أن يبعث على رأس الجيش حتى يقتل فقتل أوريا هناك ونكح داود عليه السلام إمرأته.

نجيب على هذا الرأي بأنه لا يناسب مقام النبي عليه الصلاة والسلام أنه يحتال لقتل أخيه المسلم لغرض الزواج بإمرأته. ومن المعلوم عندنا عصمة الأنبياء عليهم السلام ولذلك ردّ علماء التفسير على من يقول هذا القول ومنهم: فخر الدين الرازي قال: "والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطل...حاصل القصة يرجع إلى أمرين إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته. أما الأول: فأمر منكر... وأما الثاني: فمنكر عظيم".[1]

وقال أبو السعود: "افك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه وأشاعه وتبا لمن اخترعه وأذاعه...".[2] ولأجل ذلك لا نقبل هذا الرأي لأن فيه تهمة لنبي من الأنبياء عليهم السلام.

ملخص منهج ابن عاشور في إيراد الإسرائيليات:

فنخلص هنا منهج الشيخ في إيراد الإسرائيليات ونذكر بعض النقاط المهمة من الأمثلة التي مرت بنا قبل قليل بعنوان "التعقيب على الإسرائيليات والسكوت عن الإسرائيليات" وهي كما يلي:

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازي : جـ ٢٦/٣٧٧.

(٢) تفسير أبي السعود: جـ ٤/٢٢٢.

١- قد يذكر ابن عاشور قصة إسرائيلية باختصار لعله لا يجد فيها فائدة للأمة الإسلامية في ذكرها بالتفصيل.

٢- أحياناً يذكر الشيخ أسماء المفسرين الذين وافق رأيه رأيهم لتأييد موقفه.

٣- يحترم الشيخ العلماء عند إيراد أقوالهم.

٤- قد يأخذ ابن عاشور من الإسرائيليات ما يوافق الشريعة الإسلامية. ويبطل مذهب أهل الكتاب استشهاداً بالكتاب المقدس.[١]

٥- قد يبين الشيخ الحكمة من بيان القرآن القصة عندما تذكر أكثر من مرة في القرآن الكريم.

٦- قد يثبت ابن عاشور موقف أهل السنة والجماعة بالأدلة النقلية والعقلية من القصص الإسرائيلية.[٢]

٧- كان يدافع عن عصمة الأنبياء عليهم السلام مما لحق بهم من الإسرائيليات التي تنافى عظمتهم وترك الشيخ بعض المواضع بدون التعقيب عليها.

٨- كان الشيخ خبيراً بالكتاب المقدس ولذا استطاع أن يبين أخطائه وقد ينقل عبارة من الكتاب المقدس لإثبات موقفه.

٩- عندما يثبت براءة الأنبياء عليهم السلام من الإفتراءات يذكر معها أسباب وجودها عند أهل الكتاب.[٣]

١٠- يُرى من الإسرائيليات التي أوردها الشيخ في تفسيره أنه يعتمد كثيراً على تفسير الطبري وعلى الكتاب المقدس.[٤]

---

(١) تفسير ابن عاشور: ج ٧١٣/١.

(٢) المرجع السابق: ج ٧١/٢٣.

(٣) المرجع السابق: ج ١٦٣/١٦.

(٤) تفسير ابن عاشور: ج٦١٣/١ و ج ١٥٦/٢٣.

المبحث الثاني

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالرجوع إلى الكتب المقدسة لأهل الكتاب

وفيه تمهيد ومطلبان ويشتمل كل منهما على مقاصد

تمهيد: وفيه ما أحال إليه المؤلف رحمه الله من مصادر أهل الكتاب

أولا:

الكتب المقدسة من العهد القديم[١] التي أحال عليها ابن عاشور في تفسيره ومنها:

١-سفر التكوين [٢]

٢-سفر الخروج [٣]

٣-سفر التثنية [٤]

٤-سفر اللاويين [٥]

٥-ارميا [٦]

٦-حزقيال [٧]

٧-دانيال [٨]

والكتب المقدسة من العهد الجديد [٩] التي أحال عليها ابن عاشور في تفسيره ومنها:

١-إنجيل متى [١٠]

٢-إنجيل يوحنا [١١]

---

(١) العهد القديم: أي جميع الأسفار المنسوبة للأنبياء عليهم السلام الذين قبل عيسى عليه السلام. انظر: إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، تحقيق: الدكتور محمد أحمد بن محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ج ٩٨/١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، الناشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض- السعودية.

(٢) تفسير ابن عاشور ج ٤٣٤/١.

(٣) المرجع السابق ج ٤٩٢/١.

(٤) المرجع السابق ج ٦١٤/١.

(٥) المرجع السابق ج ٦١٤/١.

(٦) المرجع السابق ج ٤٤٤/١.

(٧) المرجع السابق ج ٤٤٤/١.

(٨) المرجع السابق ج ٤٤٤/١.

(٩) العهد الجديد: أي جميع الأسفار والرسائل المكتوبة بعد عيسى عليه السلام، انظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي ج ٩٨/١.

(١٠) تفسير ابن عاشور ج ١٠٢/٣.

(١١) المرجع السابق ج ١٦٦/٢٨ .

ذكر ابن عاشور كتبا مقدسة عديدة لأهل الكتاب في تفسيره وهي متعلقة بالتوراة أو بالأناجيل فاخترت منها البعض وتركت الأخرى مخافة التطويل.

ثانيا:

التعريف بالأسفار[١] والأناجيل[٢] التي اعتمد عليها ابن عاشور في تفسيره.

(١) سفر التكوين:

هذا السفر يتناول قصة العالم من تكوين السماوات والأرض ومن ثم سُمي سفر "التكوين" إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل في أرض مصر، مع تفصيل في قصص آدم وحواء ونوح عليهم السلام وإجمال فيما عدا ذلك.[٣]

(٢) سفر الخروج:

الاسم مطابق للمسمى، فيه عرض لتاريخ خروج بني إسرائيل من مصر، وطرق وصولهم إلى صحراء سيناء، وكيفية قضاء بني إسرائيل أربعين سنة فيها مع بعض الأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات والعقوبات.[٤]

(٣) سفر التثنية:

وأما سفر التثنية فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات... وهلم جرا.[٥]

---

(١) الأسفار لغة: جمع سفر، وهو الكتاب، وقد اشتهر مصطلحه يعني مجموعة المؤلفات التي تكون الكتاب المقدس. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي ج ١/٤٢٢. السفر والكتاب بمعنى واحد. ينظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي ج١/٩٩.

(٢) إنجيل: كلمة يونانية الأصل، ومعناها "البشرى" وتطلق على كل من الأناجيل التي ترجم للمسيح في مجموعة "العهد الجديد" ينظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي جـ١/٦١٢.

(٣) كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور علي عبدالواحد وافي ، ص ١٣ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة – القاهرة.

(٤) انظر: كتاب دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص : ١٤٠ ، مكتبة الرشد ، ط: الثانية ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، الرياض.

(٥) انظر: كتاب الأسفار المقدسة في الأديان للدكتور علي عبدالوحد وافي ص : ١٤.

(٤) سفر اللاويين:

إن سفر اللاويين قد شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة مـا تعلـق منـها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور. ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات.[١]

(٥) ارميا:

هو أحد أنبياء بني إسرائيل الأربعة الكبار، ينتسب إلى قبيلة بنيامين. قام بتنبؤاتـه أيام حكم الملك يوشيا وشهد ظهور سفر تثنية الاشتراع، وعايش السيطرة المصرية أيـام الملك يواكيم والسيطرة البابلية لاحقا. دعا ارميا إلى التقرب من الله عن الطريق الصميمة في الدين. إلا أن تأثير النبي لم يتبلور إلا بعد وفاته. تروي الأعراف المسيحة القديمـة أن ارميا مات شهيدا في مصر على أيدي جماعة من اليهود ساءهم لومه لهم.[٢]

(٦) حزقيال:

وهو ابن بوزي، ولد وكبر وترعرع في فلسطين، ثم حُمل سبيا إلى بابل مع ملك يهوذا، وأقام في نهر خابور في بابل وهناك أعطاه الله النبوة، وأمره أن يذهب إلى اليهـود المسبيين ليبين لهم أن ما حل بهم من الذل والعار والتشرد، إنما حل بسـبب شـرورهم وآثامهم، وقد ظل حزقيال يوبخ اليهود الذين في السبي على هـذا النحـو، وينـذرهم ويحذرهم ويدعوهم إلى التوبة نحو ثلاثين سنة وأخيراً قتل على أيدي اليهود.[٣]

(٧) دانيال:

أحد كتب العهد القديم، يصف حياة دانيال، وهو فتى إسرائيلي عاش في القرن ٦ ق. م.، وقع في الأسر، ونقل إلى بابل من أورشليم بعد استيلاء نبوخذ نصر عليها.

---

(١)انظر: كتاب الأسفار المقدسة في الأديان للدكتور علي عبد الواحدوافي ص: ١٤.

(٢) انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: للدكتور ياسين صلواتي ج٣٦٢/١.

(٣) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي : ص ١٧١.

حاول الكلدانيون تغيير عقيدته، هو ورفقاءه، فلم ينجحوا. مشهور بالحكمة وتأويل الأحكام ويروي سفر دانيال نجاته ورفقاءه من أتون النار.[١]

(٨) إنجيل متى:

فمؤلفه هو متى أحد الحواريين الإثني عشر. وإنجيله هو أقدم الأناجيل جميعا. ويقال إن متى نفسه هو الذي قام بترجمته، ويروي ابن البطريق وكثير من مؤرخي العرب إن مترجمه هو يوحنا مؤلف الإنجيل الرابع. ولا يعرف لهذا الرأي سند يعتد به، وقد أخطأ بعض مؤرخي العرب إذ قرر أن هذا السفر قد ترجم أول ما ترجم إلى اللغة اللاتينية، لأن الثابت أن أول ترجمة له هي الترجمة اليونانية وهي التي وصلت إلينا بدون أصله.[٢]

(٩) انجيل يوحنا:

يقتضي الإنجيل الرابع آثار تقليد قديم راسخ، فيروي ما جرى منذ أيام يوحنا المعمدان إلى اليوم الذي انتقل فيه الرب يسوع إلى مجد الآب. والمؤلف عبارة عن شهادة، ولا شك أن يوحنا أراد أن يؤلف إنجيلا بكل معنى الكلمة. فبعد الاستهلال بمقدمة لاهوتية على جانب كبير من الفخامة، يروي في القسم الأول أحداثاً وتعاليم مترابطة. أما القسم الثاني فهو رواية مفصلة لأحداث الآلام، وتراثيات المسيح الذي قام من بين الأموات. ويقول لنا صراحة في خاتمة وجيزة، إنه قد اختار عددا من الآيات عني بأن يستخلص معناها وفحواها، ليحمل المسيحيين الذين يوجه الكلام إليهم على التعمق في إيمانهم بيسوع مشيحا وابنا لله فينموا حياتهم باتحادهم بالله. وهذا ما جعله يتخذ موقفاً يواجه فيه مختلف الانحرافات التي كانت تهدد المسيحية في أيامه.[٣]

لقد نقل ابن عاشور من الأسفار والأناجيل في تفسيره التحرير والتنوير. وهي أجزاء من الكتاب المقدس [٤] هذه الكتب المقدسة تنسب إلى العهد القديم والعهد الجديد

---

(١) انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: للدكتور ياسين صلواتي ج٤/١٦٥٧.

(٢) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان للدكتور علي عبدالواحد وافي : ص ٨٧.

(٣) انظر: الكتاب المقدس، ص ٢٨٠.

(٤) انظر: الكتاب المقدس: وهو مجموعة كتب مختلفة جدا. إنها تمتد على أكثر من عشرة قرون وتنسب إلى عشرات من المؤلفين المختلفين بعضها وضع بالعبرية (مع بعض المقاطع بالآرامية) وبعضها الآخر باليونانية.

ويعتقد أهل الكتاب أن هذه الكتب تنقسم إلى قسمين: قسم منها يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام، وهذا القسم يسمى العهد القديم. والقسم الثاني كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام فهذا القسم يسمى العهد الجديد.[١]

كان عيسى عليه السلام يحترم التوراة [٢] وكان يعمل به. أما بولس [٣] فقد خالف تعليم عيسى عليه السلام و لم يعمل بالتوراة بل أعلن أن أحكام التوراة منسوخة كما ذكر في الكتاب المقدس تحت عنوان "رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية"[٤] وكذلك لعن من يعمل بأحكام التوراة. وقال: "فإن أهل العمل بأحكام الشريعة هم جميعاً في حكم اللعنة... إن الشريعة ليست من الإيمان بل إنّ المسيح افتدانا من لعنة الشريعة إذ صار لعنة لأجلنا".[٥]

المطلب الأول: موافقة تفسير ابن عاشور لبيان الكتاب المقدس

المقصد الأول:

النقل عن الكتاب المقدس لبيان قصص القرآن.

وصدرت جميع هذه الكتب عن أناس مقتنعين بأن الله دعاهم لتكوين شعب يحتل مكانا في التاريخ بشريعة ومبادئه في الحياة الفردية والجماعية، انظر: الكتاب المقدس : ص ٢٩.

(١) ينظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي، ص : ٩٥.

(٢) التوراة : كلمة مستعربة أصلها العبري تورا: بمعنى القانون والتعليم والشريعة، وهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام. انظر : المرجع السابق: ص ٩٩.

(٣) بولس (القديس) "رسول الأمم" من أعظم رجال التاريخ المسيحي. ولد في طرموس بآسيا الصغرى، اسمه الأصلي شاءول. روماني الجنسية، سمى نفسه بولس، وأصبح أنشط المبشرين بالمسيحية في القرون الأولى، طاف مع بعض رفاقه بالشرق الأوسط والعالم اليوناني، وأعطا هاديا مؤسسا للكنائس، تتلخص آراؤه في "الرسائل" التي بعث بها إلى ما أنشأه من كنائس، و لم يكن تعليمه إلا صدى لتعليم المسيح، شارحا له ومفسرا على نور تجاربه الشخصية وتعتبر هذه "الرسائل" جزءا من الكتب المنزلة. انظر : الموسوعة العربية الميسرة والموسعة: للدكتور ياسين صلواني: ٢/٩٧٧ ، ٩٧٨.

(٤) انظر: الكتاب المقدس تحت عنوان: "رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية"، ص: ٥٧٦.

(٥) انظر: المرجع السابق تحت عنوان "الشريعة مصدر اللعنة": ص : ٥٧٧.

ينقل ابن عاشور عن الكتاب المقدس لبيان قصص القرآن. هو يفصل هذه القصص ما أجملها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز. والأمثلة على ذلك:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ...﴾[1]

"... وقد أشارت الآية إلى قصة ذكرتها التوراة... فقالوا: تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً (أي يصطادونه بأنفسهم) والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم وقد يبست نفوسنا فلا ترى إلا هذا المن فبكوا فغضب الله عليهم وسأله موسى عليه السلام العفو فعفا عنهم وأرسل عليهم السلوى فادخروا منها طعام شهر كامل..."[2].

فصل ابن عاشور قصة وجود بني إسرائيل في سيناء بالكتاب المقدس التي أجملها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم. و لم يحل الشيخ على مصدر فيصعب على القارئ أن يصل إلى المكان الذي نقل منه القصة. اكتفى الشيخ بإيراد القصة و لم يضف من عنده شيئاً.

ب- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ...﴾[3]

"... فالذي يظهر لي أنهما قصتان أشارت الأولى وهي المحكية هنا إلى أمر موسى عليه السلام إياهم بذبح بقرة وهذه القصة التي أشارت إليها التوراة في السفر الرابع... هكذا ذكرت القصة بإجمال أضاع المقصود وأهم الغرض من هذا الذبح أهو إضاعة ذلك الدم باطلاً أم هو عند تعذر معرفة المتهم بالقتل؟ وكيفما كان فهذه بقرة مشروعة عند كل قتل نفس جُهل قاتلها وهي المشار إليها هنا، ثم كان ما حدث من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٢) تفسير ابن عاشور ج١/٥٠٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

قتل القتيل الذي قتله أبناء عمه وجاءوا مظهرين المطالبة بدمه وكانت تلك النازلة نزلت في يوم ذبح البقرة فأمرهم الله بأن يضربوا القتيل ببعض تلك البقرة التي شأنها أن تذبح عند جهل قاتل نفس. وبذلك يظهر وجه ذكرهما قصتين وقد أجمل القرآن ذكر القصتين لأن موضع التذكير والعبرة منهما هو ما حدث في خلالهما لا تفصل الوقائع فكانت القصة الأولى تشريعاً سيق ذكره لما قارنه من تلقيهم الأمر بكثرة السؤال الدال على ضعف الفهم للشريعة وعلى تطلب أشياء لا ينبغي أن يظن اهتمام التشريع بها، وكانت الثانية منة عليهم بآية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسولهم بينها الله لهم ليزدادوا إيماناً ولذلك ختمت بقوله: ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] واتبعت بقوله:﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ...﴾" [2]

أورد ابن عاشور قصة ذبح البقرة التي ذكرت في القرآن الكريم باختصار. وأحال الشيخ على المصدر الذي نقل منه القصة. ويفهم القارئ بطريقة السؤال والجواب. ولم يدخل في جزئيات القصة ويذكر خلاصتها ويستنتج منها أن بني إسرائيل ما كانوا يعرفون عن دينهم آنذاك. ولذا سألوا موسى عليه السلام أسئلة كثيرة.

ج- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... الآية﴾[3]

"... هذه الآية أشارت إلى قصة عظيمة من تاريخ بني إسرائيل، لما فيها من العلم والعبرة، فإن القرآن يأتي بذكر الحوادث التاريخية تعليماً للأمة بفوائد ما في التاريخ... هذه القصة هي حادث انتقال نظام حكومة بني إسرائيل من الصبغة الشورية، المعبر عنها عندهم بعصر القضاة إلى الصبغة الملكية ... فلما شاخ وكبر وقعت حروب بين بني

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٣.

(٢) تفسير ابن عاشور ج١/٥٢٩، والآية من سورة البقرة رقمها ٧٤.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٤٦.

إسرائيل والفلسطينيين [١] وكانت سجالاً بينهم، ثم كان الإنتصار للفلسطينيين، فأخذوا بعض قرى بني إسرائيل حتى أن تابوت العهد،[٢] أسره الفلسطينيون، وذهبوا به إلى (أشدود) بلادهم وبقى بأيديهم عدة أشهر فلما رأت بنو إسرائيل ما حل بهم من الهزيمة ظنوا أن سبب ذلك هو ضعف صموئيل[٣] عن تدبير أمورهم... وطلبوا من صموئيل أن يقيم لهم ملكاً يقاتل بهم في سبيل الله فاستاء صموئيل من ذلك، وحذرهم عواقب حكم الملوك... فقالوا: لا بد لنا من ملك لنكون مثل سائر الأمم، وقال لهم: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ ...﴾". [٤]

نرى ابن عاشور يبين هنا النظام السياسي عند بني إسرائيل بالتفصيل في تفسير هذه الآية. وذلك أنهم غيروا نظام القضاء إلى نظام الملكية. لأنهم هزموا في الحروب بأسباب وظنوا عدم وجود الملك سبباً في خسرانهم. فطلبوا من صموئيل النبي أن يعين لهم ملكاً فحذرهم من عواقب الملوك لكن لم يقتنعوا بقوله وقال لهم: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال بقيادة الملك فتنقلبون. قالوا كيف يتصور منا أن نعصى ملكنا الذي يقودنا في القتال ؟

---

(١) الفلسطينيون: شعب حول أصله اختلاف. اعطي اسمه لفلسطين. قدم من كيليكية اوكريت في أواخر القرن ١٣ق.م . واستقر على شاطئ المتوسط بين عسقلان وغزه طارداً الكنعانيين. اصطدم بهم بنو اسرائيل عند عودتهم من مصر فكانت بينهم حروب أدت إلى إخضاعهم تماماً في أول العهد الملكي. القرن ١٠ق.م . ينظر: المنجد في اللغة والأعلام ص: ٥٣٠.

(٢) تابوت العهد: أي التابوت في المقدس، خزانة من الخشب مكسورة بالذهب، اعتبرها العبرانيون رمز الوجود الله، يحل الموت بمن يلمسها، وبكف وجودها بين ظهرانيهم النصر لهم، ولذا كانت تحمل في المعارف على اعمدة طويلة. استولى عليها الفلسطينيون، فجرت عليهم المصائب وردوها إلى بني إسرائيل، حملها داود عليه السلام إلى بيت المقدس، ووضعها سليمان في الهيكل، و لم يعرف مصيرها بعد. وكانت تحتوي في الأرجح على لوحين كتبت عليها الوصايا العشر. انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي ج ١٠٦٣/٣.

(٣) صموئيل: وكان صموئيل آخر قضاة إسرائيل. قاد قومه ضد الطغاة، ومسح في شيخوخته شاموئل بالزيت المقدس معيناً إياه ملكاً على إسرائيل، ثم مسح فيما بعد داود ليكون خليفة لشاموئل. ينظر: المرجع السابق ج٢٢٨٣/٥.

(٤) تفسير ابن عاشور: جـ٤٦٥/٢، والآية من سورة البقرة ورقمها ٢٤٦.

المقصد الثاني:

النقل عن الكتاب المقدس لتأييد بيان القرآن:

اهتم ابن عاشور بالنقل عن الكتاب المقدس لتأييد بيان القرآن في تفسيره. وقد ذكر الشيخ هذا في عدة مواضع ومنها:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ...﴾[١]

"... وتقول التوراة إنهم بنوا لفرعون مدينة مخازن (فيثوم) ومدينة (رعمسيس) ثم خشي فرعون أن يكون الإسرائيليون أعواناً لأعدائه عليه فأمر باستئصالهم وكأنه اطلع على مساعدة منهم لأبناء نسبهم من العمالقة والعرب فكان يأمر بقتل أبنائهم وسبي نسائهم وتسخير كبارهم..."[٢]

نقل ابن عاشور عن الكتاب المقدس لتأييد بيان القرآن وذلك أن القرآن الكريم ذكر قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل، وأوضح الشيخ بأن القصة ثابتة بالكتاب المقدس ولا يمكن إنكارها.

ب- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ...﴾[٣]

"... والظفر: العظم الذي تحت الجلد في منتهى أصابع الإنسان والحيوان والمخالب، وهو يقابل الحافر والظلف ويكون للإبل والسبع والكلب والهر والأرنب والوَبْر ونحوها؛ فهذه محرمة على اليهود بنص شريعة موسى عليه السلام. ففي الإصحاح الرابع عشر من سفر التثنية: "الجمل والأرنب والوبر فلا تأكلوها..."."[٤]

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٤٩.

(٢) تفسير ابن عاشور ج١/٤٧٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٤٦.

(٤) المرجع السابق ج ١٠٦/٧.

وجدنا الشيخ يثبت تحريم ذي ظفر علي بني إسرائيل من الكتاب المقدس ويذكر موضع الكلام فيه. وقصده إظهار تأييد الكتاب المقدس للقرآن، وذكر عبارته لمزيد من الإقناع.

ج- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...الآية﴾[1]

"... وقد كانت شريعة التوراة مشتملة على أحكام كثيرة شاقة مثل العقوبة بالقتل على معاص كثيرة منها العمل يوم السبت، ومثل تحريم مأكولات كثيرة طيبة وتغليظ التحريم في أمور هينة، كالعمل يوم السبت، وأشد ما في شريعة التوراة من الإصر أنها لم تشرع فيها التوبة من الذنوب، ولا استتابة المجرم...".[2]

ذكر الشيخ بعض الجرائم وعقوباتها وأثبت أنها شاقة في ذلك الوقت على بني إسرائيل وبين أن الكتاب المقدس يؤيد القرآن في تقرير العقوبات لبعض الجرائم.

المقصد الثالث:

استشهاده بالكتاب المقدس فيما يذهب إليه من المعنى:

اعتمد ابن عاشور على الكتاب المقدس في تفسيره كثيراً وذلك يستشهد به فيما يذهب إليه من المعنى. وإليك بعض الأمثلة من تفسيره.

أ- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ... الآية﴾[3]

"... فتزعزع الجبل وتزلزل وارتجف وأحاط به دخان وضباب ورعود وبرق كما ورد في صفة ذلك في الفصل التاسع عشر من سفر الخروج وفي الفصل الخامس من سفر التثنية...".[4]

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٥٧.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ٨/٣١٧.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٦٣.

(٤) تفسير ابن عاشور: ج١/٥٢٣.

فسر الشيخ الآية وبين كيفية رفع الطور من فوق بني إسرائيل وأخذ المعنى على أساس ما في الكتاب المقدس أن الجبل تزعزع وتزلزل وارتجف. وأحال الشيخ على الكتاب المقدس للاستئناس.

ب- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ ... الآية﴾[١]

"... فكان النحاتون يعملون لسليمان صوراً مختلفة كصور موهومة للملائكة وللحيوان مثل الأسود، فقد كان كرسي سليمان محفوفاً بتماثيل أُسود أربعة عشر كما وصف في الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول...".[٢]

فسر ابن عاشور الآية الكريمة ويقول إن النحاتين كانوا ينحتون لسليمان عليه السلام صوراً للحيوانات ويستشهد لرأيه بالكتاب المقدس أن كرسي سليمان عليه السلام كان محفوفاً بتماثيل أُسود أربعة عشر وذلك ذكر في سفر الملوك.

ج- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ...الآية﴾[٣]

"الإخبار بأن بني إسرائيل افترقوا طائفتين طائفة آمنت بعيسى عليه السلام وما جاء به، وطائفة كفرت بذلك ... وإنما استجاب لهم من بني إسرائيل عدد قليل فقد جاء في إنجيل (لوقا) أن اتباع عيسى عليه السلام كانوا أكثر من سبعين...".[٤]

لا يظهر من الآية أن عدد المؤمنين كان أكثر أم عدد الكفار؟ فبين الشيخ أن عدد المؤمنين كان قليلاً وأحال على الكتاب المقدس لتأييد رأيه.

المقصد الرابع:

توضيحه الكلمة القرآنية بالكتاب المقدس

---

(١) سورة سبأ، الآية : ١٣.

(٢) تفسير ابن عاشور ج٢٢/٣٠.

(٣) سورة الصف، الآية : ١٤.

(٤) تفسير ابن عاشور ج ١٨١/٢٨.

يوضح ابن عاشور الكلمات القرآنية بالكتاب المقدس في تفسيره وإليك بعض الأمثلة التي توضح ذلك.

أ- فقد قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ...﴾[١]

"... والمن مادة صمغية جوية ينزل على شجر البادية الدقيق المبلول، فيه حلاوة إلى الحموضة ولونه إلى الصفرة ويكثر بوادي تركستان [٢] وقد ينزل بقلة غيرها و لم يكن يعرف قبل في برية سينا. وقد وصفته التوراة بأنه دقيق مثل القشور...".[٣]

وضح الشيخ هنا كلمة المن التي وردت في الآية الكريمة فبين معناها على ما في الكتاب المقدس وأحال عليه. وذكر الشيخ ذائقة المن ولونه وكذلك المكان الذي يوجد فيه.

ب- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ﴾[٤]

"... والمراد بالزكاة ما كان مفروضاً على بني إسرائيل: من إعطائهم عشر محصولات ثمارهم وزرعهم، مما جاء في الفصل الثامن عشر من سفر العدد،...".[٥]

فسر ابن عاشور كلمة الزكاة التي وردت في الآية الكريمة وبين معناها أنها كانت مفروضة على بني إسرائيل في ثمارهم وزرعهم وهذا ظاهر من عبارة الكتاب المقدس وأحال الشيخ عليه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(٢) تركستان: منطقة بالاتحاد السوفيتي السابق، تشمل جمهوريات تركمانستان، وأوزبكستان، وتاجيكستان، وقرغيزستان، وقازاقستان. تعرف المنطقة أحياناً باسم تركستان الغربية، أو تركستان الروسية تميزا لها من تركستان الشرقية أو الصينية، (هي الآن مقاطعة سنكيانج في الصين) يتكلم كل السكان تقريباً لغات تركية. كانت تركستان على مر العصور معبراً يربط الشرق بالغرب، وطريقاً سلكه كثير من الغزاة والشعوب والمهاجرين. انظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي: ج ١١٢٧/٣.

(٣) تفسير ابن عاشور ج ٤٩٢/١.

(٤) سورة المائدة، الآية : ١٢.

(٥) تفسير ابن عاشور ج ٦١/٥.

ج- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ...الآية﴾[١]

"... والأهل : الزوج والأولاد، وكانوا معه بقرينة الجمع في قوله تعالى (امكثوا) وفي سفر الخروج من التوراة فأخذ موسى عليه السلام امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر...".[٢]

يشرح الشيخ كلمة الأهل التي وردت في القرآن الكريم وبين أن معناها الزوج والأولاد، مستدلاً بقرينة "امكثوا" وهي صيغة الجمع وأحال الشيخ على الكتاب المقدس. فيظهر منه أن موسى عليه السلام رجع إلى مصر مع زوجته وأولاده.

المطلب الثاني:

إثبات ابن عاشور للعقائد الإسلامية

المقصد الأول:

إظهاره البشارة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب المقدس:

يظهر ابن عاشور البشارة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب المقدس ومن أمثلتها كالتالي:

أ- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[٣]

" ... أو أرادوا فاكتبنا مع الشاهدين الذين أنبأهم عيسى عليه السلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يجيء بعده، فيكون شهادة على مجيئه وشهادة بصدق عيسى عليه السلام... . وفي إنجيل يوحنا عدد ١٥ من قول عيسى عليه السلام : ومتى جاء المُعَزّى روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء..."[٤].

---

(١) سورة طه، الآية : ١٠.

(٢) تفسير ابن عاشور ج ١٠١/١٦.

(٣) سورة المائدة، الآية : ٨٣.

(٤) تفسير ابن عاشور ج ١٨٧/٥.

قد رأينا أن ابن عاشور حاول أن يظهر البشارة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب المقدس ليكون حجة على المنكرين من أهل الكتاب وسبباً لهداية الصالحين منهم. فذكر الشيخ حال الصادقين الذين من أهل الكتاب حينما يدخلون في الإسلام فيقرون بوجود البشارة بالرسالة المحمدية في كتابهم. وبين الشيخ عبارة الكتاب المقدس التي فيها تبشير عيسى عليه السلام برسالة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم.

ب- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ... الآية﴾[1]

" ... في الاصحاح الثامن عشر قوله: "يقيم لك الرب نبيا ومن وسط إخوانك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب في حوريب (أي جبل الطور حسين المناجاة) يوم الاجتماع قال لي الرب أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به...". [2]

أثبت ابن عاشور بشارة عيسى عليه السلام برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب المقدس . وذكر عبارة الكتاب المقدس وشرحها وأشار إلى الكلمات التي يؤولها أهل الكتاب تأويلاً فاسداً يخالف ظاهر المعنى وهو الذي يدل على تبشير عيسى عليه السلام برسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

ج- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾[3]

"ويصح اعتبار (أحمد) تفضيلاً حقيقياً في كلام عيسى عليه السلام، أي مسماه أحمد مني، أي أفضل، أي في رسالته وشريعته. وعبارات الإنجيل تشعر بهذا التفضيل، ففي إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر "وأنا أطلب من الأب (أي من ربنا) فيعطيكم (فارقليط) آخر ليثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٥٧.

(٢) تفسير ابن عاشور ج ٨/٣١٣.

(٣) سورة الصف، الآية : ٦.

يراه ولا يعرفه. ثم قال: وأما الفارقليط الروح القدس الذي سيرسله الأب (الله) بإسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته" أي في جملة ما يعلمكم أن يذكركم بكل ما قلته لكم. وهذا يفيد تفضيله على عيسى عليه السلام بفضيلة دوام شريعة المعبر عنها بقول الإنجيل "ليثبت معكم إلى الأبد" وبفضيلة عموم شرعه للأحكام المعبر عنه بقوله: يعلمكم كل شيء...".[1]

قد نرى في هذا المثال أن ابن عاشور ذكر بعضاً من صفات محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته وهي وردت في الكتاب المقدس وهذه الصفات مذكورة في البشارة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بينها عيسى عليه السلام بمعرفة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومنها: فضيلة محمد صلى الله عليه وسلم وغلبته على العالم وفضيلته على عيسى عليه السلام وعموم شريعته ودوام شريعته عليه السلام وكذلك ذكر كلمة فارقليط التي هي موجودة في الكتاب المقدس فمعناها تطابق باسم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وهكذا أثبت ابن عاشور عقيدة الإسلام التي تدل على البشارة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب المقدس.

---

(١) تفسير ابن عاشور ج ١٦٤/٢٨.

المقصد الثاني:

إبطاله عقيدة ألوهية عيسى عليه السلام بالكتاب المقدس:

اهتم ابن عاشور في تفسيره أن يبطل عقائد أهل الكتاب بالكتاب المقدس ومثاله:

أ- قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ...الآية﴾[1]

"... والاستنكاف: التكبر والامتناع بأنفة، فهو أشد من الاستكبار، ونفي استنكاف المسيح: إما إخبار عن اعتراف عيسى عليه السلام بأنه عبدالله، وإما احتجاج على النصارى بما يوجد في أناجيلهم ... وفي نصوص الإنجيل كثير مما يدل على أن المسيح عبدالله وأن الله إلهه وربه كما في مجادلته مع إبليس، فقد قال له المسيح "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد..."."[2]

يبطل ابن عاشور عقيدة المسيحية بألوهية عيسى عليه السلام ويقول إن عيسى عليه السلام ما كان يستنكف عن عبادة الله تعالى، وبين في خطبه أن الله لوحده يستحق العبادة دون غيره. أيد الشيخ هذا المعنى بعبارة من الكتاب المقدس. وبذلك يظهر إبطال ألوهية المسيح عليه السلام من الكتاب المقدس.

ب- وقوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ... الآية﴾[3]

"... ولما كان اختلافهم قد انحصر في مرجع واحد يرجع إلى إلهية عيسى عليه السلام اغترار وسوء فهم في معنى لفظ (ابن) الذي ورد صفة للمسيح عليه السلام في الأناجيل مع أنه قد وصف بذلك فيها أيضا أصحابه. وقد جاء في التوراة أيضاً (أنتم أبناء الله).

---

(١) سورة النساء، الآية : ١٧٢.

(٢) تفسير ابن عاشور ج ٤/٣٣٧.

(٣) سورة مريم، الآية : ٣٧.

وفي إنجيل متى الحواري وإنجيل يوحنا الحواري كلمات صريحة في أن المسيح ابن إنسان وأنّ الله إلهه وربه...".[1]

قد حاول ابن عاشور إبطال ألوهية المسيح عليه السلام في هذا المثال. فـــذكر أن المسيحيين أخطأوا في فهم معنى كلمة "ابن" التي جاءت في الكتاب المقدس فأخذوها على حقيقتها، ومن هذا الباب دخلت عليهم عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام، بالرغم من أن كلمة "ابن" في الكتاب المقدس استخدمت كصفة المسيح عليه السلام وحواريه.

---

(١) تفسير ابن عاشور ج ٣٩/١٦.

الفصل الثالث:

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالرأي.

تمهيد: سأذكر نبذة عن التفسير بالرأي

أولاً: تعريف التفسير بالرأي

"التفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر".[١]

ثانياً: أنواع التفسير بالرأي

"إنّ التفسير بالرأي نوعان اثنان:

أولهما: مذموم غير مقبول شرعاً؛ وهو نتيجة الانقياد إلى هوى النّفس والميل إلى الطبع دون استرشاد من الشرع الحكيم.

ثانيهما: محمود ومقبول شرعاً بشروط؛ وهو نتيجة الاجتهاد الذي قد أجازه الشرع الحكيم رحمة بالأمة في استخدام عقولها السليمة. والمجتهد في حكم الشرع مأجور؛ سواء كان مصيباً أو مخطئاً وهذا ما نفهمه من قوله عليه الصلاة والسلام: "إذا اجتهد أحدكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد"[٢] أي: فللمجتهد المصيب أجر الاجتهاد وأجر الإصابة؛ وللمجتهد المخطئ أجر الاجتهاد فقط".[٣]

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي ج ١/١٦٩.

(٢) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، عن عمرو بن العاص، ح: ٧٣٥٢، ص: ١٢٦٤.

(٣) ينظر: مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير للدكتور محمد بن عبدالكريم الجزائري ص: ٣١٧، ط: الأولى ١٣٧٠هـ، الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس.

ثالثاً: ما يجوز من التفسير بالرأي وما لا يجوز

التفسير بالرأي قد يكون محمودا إذا كان موافقاً أحد الأحوال التي ذكرها علماء التفسير.[١] فيجب على المفسر أن يركز عليها قبل أن يخوض في كتاب الله تعالى. وهذا النوع من التفسير بالرأي جائز. أما التفسير بالرأي إذا كان مخالفاً للقرآن والسنة فهو مذموم غير جائز. كما أشار إليه القرطبي في تفسيره: "فإنّ من قال فيه بما سنح في وَهْمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح".[٢]

---

(١) ومنها: الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تحرّز عن الضعيف والموضوع.

والثاني: الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقاً. وخصّه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

والثالث: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلا ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

والرابع: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع. وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: "اللّهم فقّهه في الدّين وعلّمه التأويل". ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ٢٩٣/٢.

(٢) تفسير القرطبي ج ٣٣/١.

المبحث الأول

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في ذكر المناسبات

تمهيد: سأذكر منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة باهل الكتاب في ذكر المناسبات.

إنّ الآيات القرآنية مرتبطة بعضها مع بعض، كأنها سلسلة واحدة. إذا نظر إليها الناظر يجد المناسبة[١] بينها. وهي قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية. ويستنبط على أساسها أحكام عديدة. ولذلك اهتم المفسرون بهذا العلم. ومنهم ابن عاشور الذي ذكر المناسبات بين الآيات القرآنية. فأهمية هذا العلم واضحة في تفسير الآيات. وهو علم مهم يساعد في فهم آيات الله تعالى غايته ومقصوده كما ذكر ذلك: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذاك فيها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو..."[٢].

لقد وردت نصوص في القرآن الكريم تدل على أن القرآن الكريم متناسب الآيات والسور كسلسلة متصلة بعضها مع بعض.

---

(١) المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة. فلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج١/٢٢٤، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ، دار العلم للملايين، بيروت. وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، ج ١/٢٦٥، ط: الأولى ١٣٩٤هـ، مطبعة حكومة الكويت.

ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين: وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة ومنه المناسبة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي أو غيره، ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء. انظر: البرهان في علوم القرآن : للزركشي: ج/٣٥، والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي : ج/١٣٨.

والمناسبة اصطلاحاً: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة أو بين السورة والسورة. انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص: ٨٨، الناشر: كتب خانه رشيديه ، بيشاور- باكستان.

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١/٦.

كما قال عزوجل في محكم كتابه ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١)

في معنى "أحكمت آياته" نظمت نظاماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف. (٢)

وقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٣)

يفهم من هذه الآية من خلال التدبر والتدقيق يعرف تناسب آيات القرآن وسـوره. وذلك لا يوجد في القرآن أي التناقض والاختلاف؛ لأن هذا التحدى يثبت بعد ابراز المناسبة بين الآيات والسور.

وذلك قال الإمام الرازي في سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن الكريم كما أنه معجز بحسب فصاحته ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته". (٤)

أمثلة تطبيقية من تفسير ابن عاشور في بيان المناسبات

نذكر هنا أمثلة تطبيقية من تفسير ابن عاشور التي تحتوي على المناسبات بين الآيات الكريمة ثم نشير إلى بعض النقاط المهمة حول منهجه.

المثال الأول:

يقول ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥)

---

(١) سورة هود، الآية: ١.

(٢) الكشاف للزمخشري: ج٢/٣٧٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٤) مفاتيح الغيب: لفخر الدين الرازي، ج ١٢٨/٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

"اعتراض بين قوله تعالى: ﴿... وأقيموا الصلوة... ﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿...وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ... ﴾ [٢]ووجه المناسبة في وقوعه هنا أنه لما أمرهم بفعل شعائر الإسلام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وذيل ذلك بقوله تعالى: ﴿...وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ... ﴾ [٣] ليشير إلى أن صلاتهم التي يفعلونها أصبحت لا تغني عنهم، ناسب أن يزاد لذلك أن ما يأمر به دينهم من البر ليسوا قائمين به على ما ينبغي، فجيء بهذا الاعتراض، وللتنبيه على كونه إعتراضاً لم يقرن بالواو لئلا يتوهم أن المقصود الأصلي التحريض على الأمر بالبر وعلى ملازمته والغرض من هذا هو النداء على كمال خسارهم ومبلغ سوء حالهم الذي صاروا إليه حتى صاروا يقومون بالوعظ والتعليم كما يقوم الصانع بصناعته والتاجر بتجارته لا يقصدون الإيفاء وظائفهم الدينية حقها ليستحقوا بذلك ما يعوضون عليه من مراتب ورواتب فهم لا ينظرون إلى حال أنفسهم تجاه تلك الأوامر التي يأمرون بها الناس". [٤]

يردّ ابن عاشور على الاعتراض الوارد في آيتين أن علاقتهما غير متناسقة. فأخذ يدفع هذا الإعتراض بالمناسبة قيمة، وبذلك أزال هذه الشبهة.

المثال الثاني:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [٥]

"والمناسبة أن الله لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبين ما حرم الله أكله من الحيوان، وكان في خلال ذلك تنبيه على أن ما حرمه الله خبيث بعضه لا يصلح أكله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٢) نفس السورة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٤) تفسير ابن عاشور: ج ١/٤٥٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.

بالأجساد الذي قال فيه: ﴿...أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ... ﴾[١] اعقب ذلك بذكر ما حرمه على بني إسرائيل تحريماً خاصاً لحكمة خاصة بأحوالهم، وموقّتة إلى مجيء الشريعة الخاتمة. والمقصود من ذكر هذا الأخير: أن يظهر للمشركين إن ما حرموه ليس من تشريع الله في الحال ولا فيما مضى، فهو ضلال بحت".[٢]

المناسبة هنا ظاهرة بين آيتين أن الله لما أمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يبين ما حرم الله أكله من الحيوانات فاعقب ذلك بذكر ما حرمه على بني إسرائيل تحريماً خاصاً.

رغم ذلك ابن عاشور لم يكن من المكثرين الذين تكلفوا في إيراد المناسبات بل كان متوسطاً في ذكرها كما يقول في مقدمة تفسيره: "... كان حقا على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلاً موصلاً وإلا فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين".[٣]

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ١٠٦/٧.

(٣) المرجع السابق: ج ٧٩/١.

المبحث الثاني

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في تناول الأبحاث اللغوية

تمهيد: سأبين منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في تناول الأبحاث اللغوية.

اللغة العربية لها دور كبير في فهم القرآن والسنة وذلك كانت مصدرا من مصادر التفسير منذ بداية العهد. اهتم العلماء اهتماماً بالغاً في دراستها وتدريسها والتأليف فيها وذكر بعضهم أن من شروط المفسر يكون عارفا بلغة القرآن وأساليبها.

كما قال السيوطي عند ذكر العلوم التي يحتاج إليها المفسر، قال: "أحدها: اللغة، لأن بها يُعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب... فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر والثاني النحو لأن المعنى يتغير ويختلف بإختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره... وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يُدرك بهذه العلوم".[١]

عناية ابن عاشور في الأبحاث اللغوية واضحة في تفسيره كما صرّح في مقدمة تفسيره، فقال: "أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم، وإن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي : متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم...". [٢]

لذا لم يغفل ابن عاشور عن الأبحاث اللغوية فهو يعرض هذه المسائل كثيراً في تفسيره ويمكن القول بأنه مكثر في الجانب اللغة. لأنه فرسان في أسرار اللغة وهو كان عضوا بمجمع اللغة العربية بمصر في السنة ١٩٥٠م، وبالمجمع العلمي العربي بدمشق في السنة ١٩٥٥م. [٣]

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي: ج ٢/٤٧٦.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ١/١٦.

(٣) انظر: معجم المفسرين لعادل نويهض: ج ٢/٥٤١.

من هنا اهتم باللغة كثيراً حيث يشرح الكلمات الغريبة في القرآن ويتعرض للنحو وللإشتقاقات الصرفية ويستشهد بالشعر العربي فيما يذهب إليه من المعنى. وهذه الملامح سوف تظهر في السطور التالية.

المطلب الأول:

شرح الكلمات الغريبة [1] في القرآن:

نذكر هنا بعض الأمثلة من تفسير ابن عاشور التي تبين منهجه في شرح الكلمات الغريبة الواردة في الآيات المتعلقة بأهل الكتاب.

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾[2]

"ومعنى (هادوا) كانوا يهودا أو دانوا بدين اليهود. وأصل اسم يهود منقول في العربية من العبرانية وهو في العبرانية بذال معجمة في آخره، وهو علم أحد أسباط إسرائيل، وهذا الاسم أطلق على بني إسرائيل بعد موت سليمان عليه السلام سنة ٩٧٥ قبل المسيح... ولعل هذا وجه اختيار لفظ (الذين هادوا) في الآية دون اليهود للإشارة إلى أنهم الذين انتسبوا إلى اليهود ولو لم يكونوا من سبط يهوذا. ثم صار اسم اليهود مطلقاً على المتدينين بدين التوراة قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ [3] ويقال تهوّد إذا اتبع شريعة التوراة وفي الحديث: "يولد الولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصّرانه أو

---

(١) للغريب معنيان، لغوي واصطلاحي. أما في اللغة: أي بَعُدَ، ويقال: اغرُبْ عني أي تباعد. والغريب: الغامض من الكلام، وكلمة غريبة، وقد غرُبتْ، وهو من ذلك. ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (غرب): ج ١/٧٤٨-٧٥٠. وأما في الاصطلاح: فعلم غريب القرآن هو العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم: ينظر: العمدة في غريب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ص ١٤، ط: الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٣.

يمحّسانه".[١] ويقال هاد إذا دان باليهودية قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ... ﴾[٢]

وأما في سورة الأعراف من قول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ... ﴾[٣] فذلك بمعنى المتاب".[٤]

ب- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[٥]

"والمخاض -بفتح الميم-: طلق الحامل، وهو تحرك الجنين للخروج".[٦]

ج- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾[٧]

"...ومعنى (ولا تنيا) لا تضعُفا. يقال: ونى يني ونى، أي ضعف في العمل، أي لا تن أنت وأبلغ هارون أن لا يني، فصيغة النهي مستعملة في حقيقتها ومجازها".[٨]

د- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ... ﴾[٩]

"...والجفان: جمع جفنة، وهي القصعة العظيمة التي يجفن فيها الماء. وقدرت الجفنة في التوراة بأنها تسع وأربعون بثاً (بالمثلثة) و لم نعرف مقدار البث عندهم ولا شك أنه مكيال...".[١٠]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ ح: ١٣٥٨، ص: ٢١٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٤) تفسير ابن عاشور: ج ١/٥١٦.

(٥) سورة مريم، الآية: ٢٣.

(٦) تفسير ابن عاشور: ج ١٦/٢٥.

(٧) سورة طه، الآية: ٤٢.

(٨) تفسير ابن عاشور: ج ١٦/١٢٣.

(٩) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(١٠) تفسير ابن عاشور: ج ٢٢/٣١.

ملخص منهج ابن عاشور في شرح الكلمات الغريبة في القرآن الكريم:

ونلخص هنا بعض النقاط البارزة من منهج ابن عاشور في شرح غريب القرآن الكريم.

١- قد يذكر ابن عاشور في شرح الكلمة الغريبة معاني متعددة، وأصل الكلمة وكيفية دخولها في العربية ومن أين جاءت ونسبتها إلى الاسم ووقت دخولها بتحديد الزمن.

٢- ويبين إطلاقات الكلمة الغريبة مستدلاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٣- ويزيل الشبهة عندما يكون معناها يخالف القرآن في الظاهر.

٤- يحقق الشيخ أولاً في معنى الكلمة الغريبة لغوياً وضبطها ثم يتناولها من حيث استخدامها في جُمل وعبارات متنوعة.

٥- قد يذكر صيغ الكلمة الغريبة من ماض ومضارع ومصدر وغيرها.

٦- يذكر المعاني البلاغية التي تدور حول الكلمة الغريبة.

٧- ويستعين بالتوراة في شرح الكلمة الغريبة القرآنية.

المطلب الثاني: اهتمامه بالاشتقاقات الصرفية: [1]

اهتم ابن عاشور بالاشتقاقات الصرفية في تفسيره فلنأخذ منه بعض الأمثلة كي نستطيع أن نفهم منهجه.

المثال الأول:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ... ﴾ [2]

"...(يطير) أصله يطيروا وهو تفعّل، مشتق من اسم الطير كأنهم صاغوه على وزن التفعل لما فيه من تكلف معرفة حظ المرء بدلالة حركات الطير، أو هو مطاوعة سمى بها ما يحصل من الانفعال من إثر طيران الطير. وكان العرب إذا خرجوا في سفر لحاجة، نظروا إلى ما يلاقيهم أول سيرهم من طائر، فكانوا يزعمون أن في مروره علامات يمن وعلامات شئوم،

---

(١) الصرف: علم يبحث عن صيغ الكلمات العربية وأحوالها التي ليست بإعراب ولا بناء. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٤٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣١.

فالذي في طيرانه علامة بمن في اصطلاحهم يسمونه السانح، وهو الذي ينهض فيطير من جهة اليمين للسائر والذي علامته الشئوم هو البارح وهو الذي يمر على اليسار، وإذا وجد السائر طيرا جاثما آثاره لينظر أي جهة يطير، وتسمى تلك الإثارة زجرا، فمن الطير ميمون ومنه مشؤوم والعرب يدعون للمسافر بقولهم "على الطائر الميمون" ثم غلب استعمال لفظ التطير في معنى التشاؤهم خاصة، يقال الطيرة أيضا، كما في الحديث "لا طيرة وإنما الطيرة على من تطير"[1] أي :الشؤوم يقع على من يتشاؤم، جعل الله ذلك عقوبة له في الدنيا لسوء ظنه بالله، وإنما غلبه لفظ الطيرة على التشاؤم لأن للأثر الحاصل من دلالة الطيران على الشؤوم دلالة أشد على النفس، لأن توقع الضر أدخل في النفوس من رجاء النفع.

والمراد به في الآية إنهم يتشاءمون بموسى ومن معه فاستعمل التطير في التشاؤم بدون دلالة من الطير، لأن قوم فرعون لم يكونوا ممن يزجر الطير فيما علمنا من أحوال تاريخهم، ولكنهم زعموا أن دعوة موسى فيهم كانت سبب مصائب حلت بهم، فعبر عن ذلك بالتطير على طريقة التعبير العربي".[2]

عندما يستطرد ابن عاشور في ذكر المعنى اللغوي للكلمة لا يكتفي بذكر معناها اللغوي فقط، بل يبين استعمالات الكلمة واشتقاقاتها ويذكر تصاريفها وما تحتوي عليه من مدلولات.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه بنحوه، في كتاب العدوى والطيرة والفأل، باب ذكر الخبر الدال على أنّ الطيرة تؤذي المتطير خلاف ما تؤذي غير المتطير، عن أنس بن مالك، ح: ٦٢٢٩. ينظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. وحقّقه شعيب الأرنؤوط. فقال: اسناده حسن. ج١٣/٤٩٢. ط: الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م. مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ٨/٢٥٠.

المثال الثاني:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا... ﴾ (١)

"(والصعق): وصف بمعنى المصعوق، ومعناه المغشي عليه من صحيحة ونحوها، مشتق من اسم الصاعقة وهي القطعة النارية التي تبلغ إلى الأرض من كهرباء البرق، فإذا أصابت جسما أحرقته، وإذا أصابت الحيوان من قريب أماتته، وإنما رجحنا أن الوصف والمصدر مشتقان من اسم الصاعقة دون أن نجعل الصاعقة مشتقا من الصعق؛ لأن أئمة اللغة قالوا: إن الصعق الغشي من صيحة ونحوها، ولكن توسعوا في اطلاق هذا الوصف على من غشي عليه بسبب هذه أورجة وإن لم يكن ذلك من الصاعقة". (٢)

ذكر ابن عاشور اشتقاق كلمة "الصعق" ومعناها، ويؤيد ذلك بذكر آراء أئمة اللغة.

المثال الثالث:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٣)

"وفريّ: فعيل من فرى من ذوات الياء ولهذا اللفظ عدة اطلاقات، وأظهر محامله هنا أنه الشنيع في السوء، قاله مجاهد والسدي وهو جاءٍ من مادة افترى إذا كذب لأن المرأة تُنسب ولدها الذي حملت به من زنى إلى زوجها كذبا. ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ... ﴾ (٤)

ومن أهل اللغة من قال: إن الفريّ والفرية مشتقان من الافراء بالهمز، وهو قطع الجلد لا فساده أو لتحريقه، تفرقة بين أفرى وفرى، وإن فرى المجرد للإصلاح". (٥)

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ٨/٢٧٧.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٧.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٥) تفسير ابن عاشور: ج ١٦/٣١.

هنا ذكر ابن عاشور أقوالاً في المادة اللغوية التي بينها علماء اللغة. ثم يرجّح قول التابعين فيما يذهب إليه من المعنى ويستشهد بالقرآن الكريم لتأييد المعنى.

المطلب الثالث: اهتمامه بالنحو:

قد يذكر ابن عاشور في تفسيره النحو فلنأخذ منه بعض الأمثلة حتى يظهر منهجه.

المثال الأول:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]

"وقوله: (وأنتم تعلمون) حال وهو أبلغ في النهي لأن صدور ذلك من العالم أشد فمفعول (تعلمون) محذوف دل عليه ما تقدم، أي وأنتم تعلمون ذلك أي لبسكم الحق بالباطل. قال الطيبي [2]عند قوله تعالى الآتي: (أفلا تعقلون) [3] إن قوله تعالى: (وأنتم تعلمون) غير منزل منزلة اللازم لأنه إذا نزل منزلة اللازم دل على أنهم موصوفون بالعلم الذي هو وصف كمال وذلك ينافي قوله الآتي: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ إلى قوله: أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [4] إذ نفي عنهم وصف العقل فكيف يثبت لهم هنا وصف العلم على الاطلاق".[5]

يذكر ابن عاشور الوجه في الإعراب الذي يناسب سياق الآية ويستدل بآراء علماء اللغة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

(٢) الطيبي: شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله (ت: ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) عالم في المعقول والعربية والمعاني والبيان ومشارك في أنواع من العلوم، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة. أخذ على أبي حفص السهروردي كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة انفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. من تصانيفه: (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) و(الكاشف في حقائق السنن) كتاب في التفسير وغيرها. انظر: الموسوعة العربية للدكتور ياسين صلواتي: ج ٢٣٥٤/٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٥) تفسير ابن عاشور: ج ٤٥٦/١.

المثال الثاني:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا... ﴾ (١)

"فقوله (إذ يعدون في السبت) بدل اشتمال من القرية وهو المقصود بالحكم. فتقدير الكلام: وأسألهم إذ يعدون أهل القرية في السبت و(إذ) فيه اسم زمان للماضي، وليست ظرفاً. وتعدية فعل (يعدون) إلى (في السبت) مؤذن بأن العدوان لأجل يوم السبت، نظراً إلى ما دلت عليه صيغة المضارع من التكرير المقتضى أن عدوانهم يتكرر في كل سبت، ونظراً إلى أن ذكر وقت العدوان لا يتعلق به غرض البليغ ما لم يكن لذلك الوقت مزيد اختصاص بالفعل فيعلم أن الاعتداء كان منوطا بحق خاص بيوم السبت، وذلك هو حق عدم العمل فيه، إذ ليس ليوم السبت حق في شريعة موسى سوى أنه يحرم العمل فيه، وهذا العمل هو الصيد كما تدل عليه بقية القصة". (٢)

المثال الثالث:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ... ﴾ (٣)

"وبناء فعل (يغفر) على صيغة المجهول لأن الفاعل معروف، وهوالله، إذ لا يصدر هذا الفعل إلا عنه، وللدلالة على أنهم يقولون ذلك على وجه العموم لا في خصوص الذنب الذي أنكر عليهم، أو الذي تلبّسوا به حين القول، ونائب الفاعل محذوف لعلمه من السياق، والتقدير: سيغفرلنا ذلك، أو ذنوبنا لأنهم يحسبون أن ذنوبهم كلها مغفورة ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ٣٢٨/٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.

النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [١] أي يغفرلنا بدون سبب المغفرة، وهو التوبة كما يعلم من السياق، وهو جزمهم بذلك عقب ذكر الذنب دون ذكر كفارة أو نحوها".[٢]

يستطرد ابن عاشور في الصناعة النحوية ويتوسع. لأنه لغوي ممارس أولا وقبل كل شيء ثم هو المفسر وهو متسلح بتلك الحصيلة اللغوية الوافية. وذلك ذكر في الإعراب أكثر من وجه. وإذا اختار وجهاً ما يستدل عليه بالقرآن الكريم أولاً ثم بسياق الآية.

المطلب الرابع: استشهاده بالشعر [٣] العربي:

وفيه ثلاثة نقاط وهي:

١. استشهاده بالشعر في تفسير الآيات الكريمة.

٢. استشهاده بالشعر في تفسير الكلمات القرآنية.

٣. ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات أو الكلمات القرآنية بالأشعار العربية.

استشهاده بالشعر في تفسير الآيات الكريمة

يستشهد ابن عاشور بالشعر في تفسير الآيات الكريمة ولنا في ذلك أمثلة:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [٤]

"... ويطلق على من تكون من أبناء صاحب الإسم الذي تضاف إليه إذا كان إسم قبيلة كقولهم: يا أخا العرب، كما في حديث ضيف أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٠.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ٨/٣٤٠.

(٣) تعريف الشعر: هو كلام مقفى موزون على سبيل القصد، انظر: التعريفات للجرجاني، ص: ١٢٧.

(٤) سورة مريم، الآية: ٢٨.

لزوجه: "يا أخت بني فراس ما هذا؟ فإذا لم يذكر لفظ (بني) مضافا إلى اسم جد القبيلة كان مقدراً، قال سهل بن مالك الفزاري:[١]

يـــا أخـــت خيـــر البدو والحـــضارة

كيف ترين في فتى فـــــــــــزارة [٢]

قال ابن عاشور: "يريد يا أخت أفضل قبائل العرب من بدوها وحضرها...".[٣]

ب- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٤]

"...وفي قوله تعالى: (وأنت أرحم الراحمين) التعريض بطلب كشف الضر عنه بـــدون سؤال فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحمية تعريضاً بسؤاله، كما قال أمية بن أبي الصلت:[٥]

---

(١) إياك أعني فاسمعي يا جارة : أول من قاله سهل بن مالك الفزاري وذلك أنه عدل في طريقه إلى النعمان إلى خبـــاء حارثة بن لأم الطائي فما أصابه شاهداً فرحبت به أخته وكانت جميلة نبيلة، ثم إنه افتتن بها فجلس وهو يترنم بقولـــه: (الرجز)

يا أخـــت خير البـــدو والحضارة

ما ذا ترين في فتى فـــــــــزاره

وذلك بمسمع منها فخاشنته في القول ثم استحيت من تسرعها في أذاه؛ فلما رجع من عند النعمان أرســـلت إليـــه أن يخطبها، ففعل فتزوجت منه؛ يضرب في التعريض بالشيء بيديه الرجل وهو يريد غيره. انظر: المستقصى في أمثال العرب لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، ج ٤٥٠/١. ط: الأولى ١٣٨١هـــ/١٩٦٢م بمجلس دائرة المعارف العثمانية بحيـــدر آباد الدكن – الهند، لم أعثر عن ترجمته له في كتب التراجم وكتب الأدب المتوفرة لدي.

(٢) ذكر هذا البيت صاحب مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني أحمد بن أحمد بن إبراهيم النيســـابوري، ج ٦٦/١. ط: الأولى ٢٠٠٣م، منشورات، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان.

(٣) تفسير ابن عاشور: ج ٣٢/١٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

(٥) أمية بن أبي الصلت: هو أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت، أبو الصلت. من أهل الأندلس، كان أديباً فاضلاً حكيماً منجماً، صاحب فصاحة بارعة وعلم بالنحوم والطب. ومات ٥٢٩هـــ. ينظر: معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي الرومي. تحقيق: الدكتور إحســـان عبـــاس. ج ٧٤٠/٢، ط: الأولى ١٩٩٣م. دار الغـــرب الإسلامي، بيروت-لبنان.

إذا أثنـــى عليك المرء يوما

كفاه مـــن تعرضه الثناء". [١]

ج- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [٢]

"... والخطاب في قوله: (ردوها علي) لسواس خيله. والضمير المنصـــوب عائـــد إلى الخيل بالقرينة أي ارجعوا الخيل إليّ... وأحسن منه على هذا الاعتبار في معاد ضمير الغيبة أن يكون الأمر مستعملاً في التعجيز، أي هل تستطيعون أن تردوا الشمس بعد غروبها، كقـــول مهلهل: [٣]

يا لَبَكْر أنشروا لي كليبا[٤]

وقول الحارث الضبي[٥] (أحد أصحاب الجمل)

ردّوا علينا شيخنا ثم بَجل". [٦]

---

(١) ذكر هذا البيت صاحب شرح ديوان الحماسة ينظر: شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد الحسن المرزوقي: ج ١٧٨٢، نشره: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، ط: الأولى ١٣٧٢هـــ/١٩٥٣م، مطبعة لجنـــة التـــأليف والترجمـــة والنشر، القاهرة. تفسير ابن عاشور: ج ٩٣/١٧.

(٢) سورة ص، الآية: ٣٣.

(٣) مهلهل بن يموت(.. بعد ٣٣٤هـــ ... بعد ٩٣٦م) هو مهلهل بن يموت بن المزرع العبدي، من شعراء العصر الإخشيدي بمصر. أورد "النويري" قصيدة له في رثاء "الإخشيد ٣٣٤" قال الزركلي لم أجد له ترجمته مستقلة، وفيظهر أنه ممن أهمل "المتنبي" ذكرهم من معاصريه. وكان للشعر، كأبيه منهمكاً في الخلاعة واللعب وصنف كتاباً "سرقات أبي نواس ـــ ط" و"محاسن شعر أبي نواس". انظر: الأعلام للزركلي: ج ٣١٦/٧.

(٤) ذكر هذا البيت صاحب خزانة الأدب، ينظر: خزانة الأدب ولب لباب العرب باب المنادى، لعبدالقادر بن عمـــر البغدادي: ج ١٦٢/٢، ط: الأولى ١٤١٨هـــ/١٩٩٨م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) بحثت عنه في كتب التراجم والأدب فلم أعثر على ترجمته.

(٦) ذكر هذا البيت صاحب خزانة الأدب، ينظر: خزانة الأدب، باب أسماء الأفعال، لعبدالقادر بن عمـــر البغـــدادي: ج ٢٣٤/٦، تفسير ابن عاشور: ج ١٥٣/٢٣.

استشهاده بالشعر في تفسير الكلمات القرآنية:

قد يستشهد ابن عاشور بالشعر في تفسير الكلمات القرآنية وإليك بعض الأمثلة من تفسيره:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ... ﴾[١]

"والطور علم على جبل ببرية سينا، ويقال أن الطور إسم جنس للجبال في لغة الكنعانين نقل إلى العربية وانشدوا قول العجاج.[٢]

دانـــي جـــناحيه من الطور فَمَرْ

تَقَضِّى البازي إذا البازي كَسَرَ".[٣]

ب- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿...إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا... ﴾[٤]

"الإيناس: الإحساس والشعور بأمر خفي، فيكون في المرئيات وفي الأصوات كما قال الحارث بن حلزة:[٥]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٣.

(٢) العجاج : (.. نحو ٩٠هـ -- نحو ٧٠٨م) هو عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعد التميمي، أبو الشعثاء، العجاج راجز مجيد، من شعراء. ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها. ثم أسلم، وعاش إلى أيام الوليد بن عبدالملك ففلج واقعد. وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد. وكان لا يهجو. وهو والد "رؤبة" الراجز المشهور أيضا. له "ديوان - ط" في مجلدين. انظر الأعلام للزركلي: ج ٨٧/٤.

(٣) وقد بحثت عن مرجع هذا البيت في كتب الشعر والأدب فلم أعثر عليه مرجعه، تفسير ابن عاشور: ج ٥٢٤/١.

(٤) سورة النمل، الآية: ٧.

(٥) الحارث بن حِلِّزة (توفى ٥٠ ق هـ - ٥٧٠م)

الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري، شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق. من آثاره: معلقة جمع بها كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم. انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ١٧٥/٣ ، و أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام حياتهم - آثارهم - فقد آثارهم ج ٤٨/١- ٦٠، ط: ١٩٨٦م لدار مارون عبود.

آنست نبأة وافزعها القنـــ ـــاصُ عصرا وقد دنا الإمساء".[١]

ج- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ... ﴾[٢]

"والقوارير: جمع قارورة وهي إسم الإناء من الزجاج... فالقوارير من أسماء الزجاج، قال بشار[٣]:

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته.

فإنه عربي مـــن قواريـــــر".[٤]

خلاصة منهج ابن عاشور في تفسير الآيات أو الكلمات القرآنية بالأشعار

ألخص هنا منهج ابن عاشور في تفسير الآيات أو الكلمات القرآنية بالشعر العربي بناءاً على الأمثلة التي أوردناها آنفاً. وذلك في النقاط التالية:

١- قد يحتج ابن عاشور ببيت شعر لتأييد المعنى الذي يكون أقرب إلى الصواب عنده.

٢- قد يؤيد بشاهدين من الشعر ما أرشدت إليه الآية من المعاني.

٣- يتحري الشيخ في عزو الشعر إلى قائله.

٤- نراه يستشهد بالأشعار لمقاصد مختلفة ومنها: ترجيح معنى لفظ على معنى آخر له.

---

(١) ذكر هذا البيت صاحب كتاب الحيوان للجاحظ، ينظر: الحيوان، باب شاهد من الشعر لسمع النعامـــة: ٣٨٩/٤، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، تفسير ابن عاشور: ج ٢٢٥/١٩.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٤.

(٣) بشار بن برد: أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء الضرير الشاعر المشهور، وهو بصري قدم بغداد، وكان يلقب بالمرعث، وأصله من طخارستان من سبيء المهلب بن أبي صفرة، ويقال: إن بشاراً ولد على الرق أيضـــا واعتقته إمرأة عقيلية فنسـب إليها، وكان أكمه ولد أعمى، وهو في أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين فيـــه، فمـــن شعره في المشورة. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان : ج ٢٧١/١، ٢٧٢، والأعلام للزركلي: ج٥٢/٢، والموســـوعة الشوقية الأعمال الكاملة لأمير الشعراء أحمد شوقي جمع وترتيب وشرح إبـــراهيم الأبيـــاري ج ٢٢/١، ط: الثانيـــة ١٤١٩هـــ/ ١٩٩٨م، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤) ذكر هذا البيت صاحب موسوعة الأمثال، ينظر: موسوعة الأمثال لأبي منصور عبدالملك بن محمد بـــن إسماعيـــل الثعالبي، ص: ٤٣٤، ط: الأولى ٢٠٠٣م، مكتبة الهلال، بيروت-لبنان، تفسير ابن عاشور. ج ٢٦٩/١٩.

المبحث الثالث

منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأمور الحياة اليومية، ومنها: السياسة والعلم التجريبي

المطلب الأول: تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بعلم السياسة

المقصد الأول: تعريف السياسة:

السياسة... هي كيفية إدارة شئون الناس في السلم والحرب والأخذ والعطاء والشدة والرخاء والاجتماع والتفرق وغير ذلك.[١]

يتضح من تعريف السياسة أنها مسئولية مهمة على أفراد الحكومة ليقوموا على أمور الناس بطريقة حسنة. وعليهم أن يفعلوا كل ما يتعلق بالمصلحة العامة ومنفعة الناس لتعيش العامة بالأمن والسلام، كما قيل: سيد القوم خادمهم.

أمثلة تطبيقية من تفسير ابن عاشور

نبين في هذا المقصد بعض الآيات التي تتعلق بالسياسة من تفسير ابن عاشور. ثم نستخرج منهجه من خلال دراستها.

المثال الأول:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا... ﴾[٢]

"... وهذا الملك هو الذي سمى في الآية طالوت وهو شاول وطالوت لقبه... تعجبوا من جعل مثله ملكا، وكان رجلا فلاحا من بيت حقير، إلا أنه كان شجاعا، وكان أطول القوم... إن بني إسرائيل قالوا: أنى يكون له الملك علينا... لأنهم لا بد أن يكون قد ظنوا أن ملكهم سيكون من كبرائهم وقوادهم. والسر في اختيار نبيئهم لهم هذا الملك أنه أراد أن تبقى لهم حالتهم الشورية بقدر الإمكان، فجعل ملِكَهم من عامتهم لا من سادتهم، لتكون قدمه في الملك غير راسخة، فلا يخشى منه أن يشتد في استعباد أمته، لأن الملوك في ابتداء تأسيس الدول

---

(١) انظر: السياسة من واقع الإسلام لسيد صادق الشيرازي، ص: ٩، ط: الثانية ١٤٠١هـ. (بدون ذكر المطبعة)

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

يكونون أقرب إلى الخير لأنهم لم يعتادوا عظمة الملك و لم ينسوا مساواتهم لأمثالهم، وما يزالون يتوقعون الخلع، ولهذا كانت الخلافة سنة الإسلام".[١]

المثال الثاني:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٢]

"واقترح يوسف عليه السلام ذلك اعداد لنفسه للقيام بمصالح الأمة... وعلل طلبه ذلك بقوله: (إني حفيظ عليم) أنه اتصف بصفتين وهما: الحفظ لما يليه، والعلم بتدبير ما يتولاه... وهذه الآية أصل لوجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من أمور الأمة إذا علم أنه لا يصلح له غيره".[٣]

ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بعلم السياسة:

١- فسر ابن عاشور الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بعلم السياسة، فحاول أن يذكر للمسلمين أحوال بني إسرائيل بنوع من التفصيل.

٢- وقد أجاد حيث حمل الآيات على عمومها حتى يتعدى الحكم إلى من صنع صنيعهم من المسلمين.

٣- وقد اطلع على كتب أهل الكتاب فاستطاع أن يوضح عيوبهم في الأمور السياسية.

٤- ويثبت فضيلة الإسلام الذي وضع نظاماً قيماً في القضايا السياسية. ويقدم فكرة جيدة توافق روح الشريعة الإسلامية.

٥- ثم ينتقد ما يسود في العالم الإسلامي من النظام المَلكي. وأشار بأنّه من آثار الجاهلية القديمة.

٦- كما يبرّر ما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالظن الحسن.

---

(١) تفسير ابن عاشور: ج ٢/٤٦٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

(٣) تفسير ابن عاشور: ج ١٢/٨٢.

٧- ويذكر المسائل الخلافية المتعلقة بالسياسة ثم يبين أدلة كل واحد منهم. وفي النهاية يرجح بين الأقوال، ويذكر ما يراه راجحاً.

المطلب الثاني: تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالعلم التجريبي

تمهيد: تعريف التفسير العلمي التجريبي

"هو التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها".[١]

نفهم من هذا التعريف أن التفسير العلمي التجريبي هو علم يتعلق بالحقائق العلمية أو القضايا التي ذكرها القرآن الكريم ثم كشفها علماء العصر الحديث، وهذه الحقائق مطابقة تماماً لما جاء بها القرآن الكريم. ومن هنا مال كثير من المفسرين في العصر الحديث إلى تفسير الآيات الكونية ومنهم ابن عاشور الذي اهتم بهذا المجال. وبالنظر في مقدمات ابن عاشور في بداية تفسيره نرى أنه يفرد مقدمة عاشرة لموضوع الإعجاز بأنواعه ومن بينها الإعجاز العلمي. كان ابن عاشور دعا إلى التماس موضوع الكونيات ودراسة الإعجاز العلمي وكان يرغب في مثل هذه الموضوعات.

والأمثلة على ذلك:

فلنأخذ هنا بعض أمثلة من تفسير ابن عاشور تتعلق بالتفسير العلمي التجريبي ثم نستخرج منها منهجه.

المثال الأول:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ... ﴾[٢]

---

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، لفهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي: ج ٢/٥٤٧، ط: الرابعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م الرياض.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٦.

"... فإن قلت إن الموت يقتضي انحلال التركيب المزاجي فكيف يكون البعث بعده في غير يوم إعادة الخلق؟ قلت: الموت هو وقوف حركة القلب وتعطيل وظائف الدورة الدموية فإذا حصل عن فساد فيها لم تعقبه حياة إلا في يوم إعادة الخلق وهو المعنى بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى... ﴾ [١] وإذا حصل عن حادث قاهر مانع وظائف القلب من عملها كان للجسد حكم الموت في تلك الحالة لكنه يقبل الرجوع إن عادت إليه أسباب الحياة بزوال الموانع العارضة، وقد صار الأطباء اليوم يعتبرون بعض الأحوال التي تعطل عمل القلب اعتبار الموت ويعالجون القلب بأعمال جراحية تعيد إليه حركته. والموت بالصاعقة إذا كان عن احتناق أو قوة ضغط الصوت على القلب قد تعقبه الحياة بوصول هواء صاف جديد وقد يطول زمن هذا الموت في العادة ساعات قليلة ولكن هذا الحادث كان خارق عادة فيمكن أن يكون موتهم قد طال يوما وليلة كما روى في بعض الأخبار ودون ذلك".[٢]

يطرح ابن عاشور سؤالاً عن البعث بعد الموت ثم يجيب عليه في ضوء التفسير العلمي التجريبي. فهو يقسم الموت إلى قسمين: الموت الذي لا يعيد إلى الدنيا وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى... ﴾ [٣] ويتوقف فيه القلب عن عمله وتتعطل الدورة الدموية. والموت الذي يرجع إلى الدنيا ويحصل ذلك بسبب تعرض عارض يمنع القلب عن وظيفته ويكون الجسد في عداد الموتى، ثم إذا زال هذا العارض رجع القلب إلى عمله وسرت الحياة في الجسم.

المثال الثاني:

تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ... ﴾ [٤]

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٥٦.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ١/٤٩٢.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٥٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

"... وقد أشارت الآية إلى أن انفجار الماء من الأرض من الصخور منحصر في هذين الحالين وذلك هو ما تقرر في علم الجغرافيا الطبيعية أن الماء النازل على الأرض يخرق الأرض بالتدريج لأن طبع النزول إلى الأسفل جريا على قاعدة الجاذبية فإذا اضغط عليه بثقل نفسه من تكاثره أو بضاغط آخر من أهوية الأرض تطلب الخروج حتى إذا بلغ طبقة صخرية أو صلصالية طفا هناك فالحجر الرملي يشرب الماء والصخور والصلصال لا يخرقها الماء إلا إذا كانت الصخور مركبة من مواد كلسية وكان الماء قد حمل في جريته أجزاء من معدن الحامض الفحمي فإن له قوة على تحليل الكلس فيحدث ثقبا في الصخور الكلسية حتى يخرقها فيخرج منها نابعاً كالعيون".(١)

يفسر ابن عاشور الآية تفسيراً علمياً ومن المعلوم أنه يرد المسائل العلمية التي لا يكون فيها هدفا بحد ذاته بل يكون طريقا لتوضيح المعنى كما أثبت هنا بعلم الجغرافية الطبيعية عن طبع الماء النزول إلى الأسفل جرياً على قاعدة الجاذبية. من أهداف الشيخ وراء التفسير العلمي أن يوافق القضية العلمية مطابقة بما جاء في القرآن الكريم، حتى يثبت منه الإعجاز العلمي.

المثال الثالث:

تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ... ﴾(٢)

"... ومعنى الآية: أنه لولا وقوع دفع بعض الناس بعضاً آخر بتكوين الله وإيداعه قوة الدفع وبواعثه في الدافع لفسدت الأرض، أي من على الأرض، واختل نظام ما عليها، ذلك إن الله تعالى لما خلق الموجودات التي على الأرض، من أجناس وأنواع وأصناف خلقها قابلة الاضمحلال، وأودع في أفرادها سننا دلت على أن مراد الله بقاؤها إلى أمد أراده ولذلك نجد قانون الخلفية منبثا في جميع أنواع الموجودات فما من نوع إلا وفي أفراده قوة إيجاد أمثالها لتكون تلك الأمثال اخلافا عن الأفراد عند اضمحلالها، وهذه القوة هي المعبر عنها بالتناسل

---

(١) تفسير ابن عاشور: ج ١/٥٤٧، ٥٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

في الحيوان، والبذر في النبت والنضح في المعادن، والتولد في العناصر الكيمياوية. ووجود هذه القوة في جميع الموجودات أول دليل على أن موجدها قد أراد بقاء الأنواع، كما أراد اضمحلال الأفراد عند آجال معينة، لاختلال أو انعدام صلاحيتها، ونعلم من هذا أن الله خالق هذه الأكوان لا يحب فسادها..."[١]

إن ابن عاشور لم يتجاوز حدود الهداية، حتى إذا ذكر الكونيات فأراد منها الهداية لأنه مقصد القرآن مطلقاً من ذكر هذه الكونيات لا أن يشرح حقيقة علمية في الهيئة والفلك والطبيعة والكيمياء. لذا يستدل الشيخ هنا بالوجود على موجده. وكذلك ما نسميه استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الطريق العلمي الذي لا يستطيعون أن يجحدوه أو يشكوا فيه.

---

(١) تفسير ابن عاشور: ج ٢/٤٧٨.

الفصل الرابع

تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب

عن ابن عاشور في الميزان

المبحث الأول: خصائص تفسير التحرير والتنوير

لا شك أن لكل كتاب خصائص يمتاز بها عن غيره، وينفرد بها عما سواه، حيث يجعله معتبراً ومقبولاً عند الناس. وقد وجدت بعض الخصائص أثناء مطالعتي لهذا التفسير في الآيات المتعلقة بأهل الكتاب، أستخلصها وأبينها في السطور التالية. وغالباً ما مثلت لكل خصيصة من خصائص تفسير ابن عاشور لإبرازها.

أ- في الجانب العقدي:

اهتم المؤلف بالجانب العقدي في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب وانتصر لموقف القرآن ومن أهم ذلك:

عصمة الأنبياء وإثبات نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم وإبطال عقيدة ألوهية عيسى عليه السلام.

١- من خصائص تفسير ابن عاشور أن مؤلفه يدافع عن عقائد الإسلام ومنها عصمة الأنبياء إزاء المفتريات التي ألصقت بهم عليهم الصلاة والسلام في الإسرائيليات المنقولة عنهم أو الموجودة في كتبهم. ومن ذلك حادثة صناعة العجل حيث تذكر كتبهم المقدسة أن هارون عليه السلام صنع العجل لكي يعبدوه.[١] وكذلك في قصة تزوج داود عليه السلام من زوجة أوريا حتى حيث ورد في كتبهم خلاف ما يقتضي مقام النبوءة.[٢] كما سبق ذكره.[٣]

---

(١) تفسير ابن عاشور ج ١٦/١٦٣.

(٢) المرجع السابق ج ٢٣/١٣٨.

(٣) ص: ٥٧.

٢-ومن خصائص تفسيره أنه أثبت نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم من كتب أهل الكتاب عند تفسير الآيات المتعلقة بهم. ويكشف بدلالة الألفاظ التي وردت في الكتاب المقدس. ويناقش أهل الكتاب فيها ويظهر مفهوم نص الكتاب المقدس الظاهر الذي غيّره أهل الكتاب بتأويل فاسدٍ حتى تخفى بشارته عليه الصلاة والسلام. ومن هذه الكلمات فارقليط الذي تطابق اسم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وكذلك بين الصفات المذكورة عنه عليه الصلاة والسلام في الكتاب المقدس.[١]

٣-ومن خصائصه أنه يبطل عقائد أهل الكتاب ومنها عقيدة ألوهية عيسى عليه السلام. ويبطلها ليس فقط من القرآن والسنة بل من كتبهم أيضاً. فيذكر الشيخ عبارة الكتاب المقدس التي هي أساس عقيدتهم ولكنه يبين أنها تخالف كلام المسيح عليه السلام وهو موجود في كتبهم أيضا. ثم يبين الأسباب التي جعلتهم أن يصنعوا هذه العقائد الفاسدة ومنها سوء فهم الكتاب المقدس وأنهم أعادوا جمع وكتابة التوراة بعد رجوعهم من الأسر البابلي فلم يحسنوا كتابتها.[٢]

ب- سعة اطلاعه عل المصادر:

المفسر واسع الاطلاع على المصادر الإسلامية وغير الإسلامية المتعلقة بأهل الكتاب، ودقيق في الإحالات:

١- لم يكتف الشيخ بالمصادر الإسلامية فقط عند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بل استفاد من كتب أهل الكتاب كثيراً وهدفه من وراء ذلك أن يستشهد بها ابتغاء تأييد موقف القرآن وينتصر للإسلام ويبين تحريف أهل الكتاب كما ذكر في حالة أهل مصر المذهبية والسياسية والثقافية وغير ذلك.[٣]

---

(١) تفسير ابن عاشور ج ١٦٤/٢٨. والمرجع السابق ج ٣١٣/٨.

(٢) المرجع السابق ج ٣٣٧/٤. والمرجع السابق ج ٣٩/١٦.

(٣) المرجع السابق ج ٤٧٦/١. والمرجع السابق ج ٣١٣/٨.

ولذلك توجدة كثرة الإحالة في تفسيره. كما بين في قصة موسى والخضر عليهما السلام ونذر مريم عليها السلام فنجده يكثر الإحالة فيهما.[١]

٢-كان الشيخ مدققاً في النقل من كتب أهل الكتاب والتزم ببيان مصادرهم التي استفاد منها، ويشير إليها بما يسهل على القارئ ويبعث الثقة في قلبه. ومن ذلك مما جاء في حرص اليهود على هذه الحياة وعدم التمنى الموت. وكذلك في بعثة النبيين إلى أقوامهم فنرى أنه ذكر المصادر التي استفاد منها.[٢]

ج- التزامه بأصول التفسير:

التزم المؤلف بأصول التفسير وتوظيفها في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب ومن ذلك:

١-أنه يذكر الخلاف بين العلماء أثناء تفسيره للآيات المتعلقة بأهل الكتاب ثم يرجح بالدليل النقلي أو العقلي ما يراه أقرب إلى الصواب. وقليلاً ما نجده يمر بدون الترجيح. فمثلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٣] رجح بأن المراد من الآية تفظيع الحالة لا النهي أو التحريم كما اختلف فيه المفسرون.[٤]

وكذلك في قصة موسى والخضر عليهما السلام يظهر فيهما ترجيحاته.[٥]

٢-ومن خصائصه أنه يفسر الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالمأثور وبالرأي معا أي جمع الشيخ بين التفسير بالمعقول والمنقول.

---

(١) تفسير ابن عاشور:ج ١٥/١٢٠. والمرجع السابق: ج١٦/٢٩.

(٢) المرجع السابق: ج١/٥٩٨. والمرجع السابق : ج٢/٢٨٨. وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) المرجع السابق ج ١/٤٦٠.

(٥) المرجع السابق:ج ١/٤٦٠. والمرجع السابق:ج ١٥/١٢٠.

ومن ذلك ما ورد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[١] وفي قصة قضاء داود عليه السلام بين الخصمين فنراه يذكر التفسير بالمأثور وبالرأي معاً.[٢]

٣-عمل ابن عاشور بقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذلك يحمل الألفاظ التي تدور حول قضايا أهل الكتاب على عمومها. كما يظهر في تفسيره لقوله تعالى ﴿واشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيْلاً﴾[٣] بين أن الآية وإن كانت في أهل الكتاب إلا أن حكمها يشمل من يرتكب مثل صنيعهم من المسلمين لاتحاد جنس الحكم والعلة فيه.[٤]

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾[٥] ذكر بأن المقصود من هذا الخبر وعد المسلمين الذين أمروا أن يكونوا أنصاراً لله بأن الله مؤيدهم على عدوّهم.[٦]

د- التركيز على رد الإسرائيليات:

ركز المؤلف رحمه الله على رد الإسرائيليات المقحمة في كتب الحديث والتفسير بدراسة المتن والمعنى لا السند فقط.

١- رد الشيخ الرواية الإسرائيلية ولو كانت في شكل الحديث وكانت منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبطلها لأنها تفسد المعنى وتخالف الشريعة الإسلامية. ومن ذلك ما جاء في قصة هاروت وماروت عليهما السلام.[١]

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٢) تفسير ابن عاشور ج٥/٧٢. والمرجع السابق ج ٢٣/١٣٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٤) المرجع السابق ج ٣/٣٠٥.

(٥) سورة الصف، الآية: ١٤.

(٦) المرجع السابق ج ٢٨/١٨١.

هـ – استخلاص الفوائد والعبر:

يستخلص المؤلف الفوائد والعبر من الآيات المتعلقة بأهل الكتاب.

١–فعند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب لم ينحصر الشيخ في المسائل العلمية فقط بل ذكر بما توحى إليه الآيات الكريمة من الفوائد والعبر القيمة. ومنها ما يذكر في قصة داود وسليمان عليهما السلام مع أصحاب الحرث والغنم.[٢] وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] فذكر فيها الفوائد والعبر من الآية الكريمة.[٤]

---

(١) المرجع السابق ج ١/٦٢٤.

(٢) تفسير ابن عاشور:ج ١٧/٨٤–٨٨.

(٣) سورة النمل، الآية : ١٥.

(٤) المرجع السابق:ج ١٩/٢٣٣.

المبحث الثاني:

أبرز المآخذ على تفسير ابن عاشور في تفسيره للآيات المتعلقة بأهل الكتاب.

رغم مكانة تفسير ابن عاشور العظيمة عند أهل العلم وتلقيهم إياه بالقبول، فقد أُخذت عليه بعض المآخذ، ويا حبّذا لو اجتنبها الشيخ رحمه الله، ولا ينقص هذا من مقامه. لأن الكمال لله تعالى وحده. أما البشر، فكل يؤخذ منه ويرد والعصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحدهم.

ومن مقتضيات البحث العلمي أن لا يغفل أي جانب من جوانبه المهمة لكي يكون البحث بحثاً قيماً. ولذلك ذكرت بعض المآخذ التي لا تنقص من قيمة هذا التفسير ولا تقلل من شأن مصنفه.

فأهم ما توصلت إليه من المآخذ بعد التتبع والدراسة هي كالآتي: ومثلت لكل ما أقوله من هذه المآخذ.

١- مخالفة جمهور علماء المسلمين:

أشد ما يؤخذ على تفسير ابن عاشور أنه يخالف جمهور العلماء المسلمين في بعض المسائل وينفرد عنهم ويتبنى رأياً شاذاً وهذا نقص في تفسيره لأن هذا الجمع من العلماء لا يجتمع على الضلالة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم".[1]

وسأذكر أبرز مسألتين من تفسيره مما يظهر فيهما مخالفة الجمهور من علماء المسلمين وهما:

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، ح:٣٩٥٠، ص:٥٦٦. قال الألباني: ضعيف. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ح: ٢٨٩٦، ج ٤٣٥/٦.

المسألة الأولى: رأيه في عقيدة رفع عيسى عليه السلام

تبنى ابن عاشور رأياً شاذاً في عقيدة رفع عيسى عليه السلام فرأيه فيها: أن الله أمات عيسى عليه السلام ورفعه بروحه دون جسده كرفع سائر الأنبياء عليهم السلام.

وأما الجمهور فيقولون: إن الله رفع عيسى عليه السلام بجسده وروحه قبل أن تصل أيدي الأعداء إليه وهو حي.

يظهر فيه أن ابن عاشور مال إلى رأي شاذ وخالف رأي الجمهور.

ونذكر هنا آراء كبار المفسرين في عقيدة رفع عيسى عليه السلام، ويليها رأي ابن عاشور بقدر من التفصيل وخلاصة القول حول هذه العقيدة. والآراء كلها مأخوذة من تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾[1]

قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزوله".[2]

وقال ابن كثير: "رفعه إليه وإنه باق حيّ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة".[3]

وقال القرطبي: "والمعنى إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن

تنـــزل من السماء... فإنه صحّ في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ٥٥.

(٢) تفسير الطبري: ج٤/٢٨٩-٢٩٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ج ١/٥٠٤.

نزوله وقتله الدجال".[١]

وقال الآلوسي: "هذا من المقدم والمؤخر أي: رافعك إليّ ومتوفيك، وهذا أحد تأويلات اقتضاها مخالفة ظاهر الآية للمشهور المصرح به في الآية الأخرى، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: إن عيسى عليه السلام لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة".[٢]

وقال أبو حيان: "أجمعت الأمة على تضمنه الحديث المتواتر... أن عيسى عليه السلام في السماء حيٌّ وأنه ينزل في آخر الزمان".[٣]

وقال الشوكاني: "وإنما احتاج المفسرون إلى تأويل الوفاة بما ذكر، لأن الصحيح أن الله رفعه إلى السماء من غير وفاة، كما رجحه كثير من المفسرين... ووجه ذلك أنه قد صحّ في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم نزوله وقتله الدجال".[٤]

وقال الرازي: "فالأمر فيه موقوف على الدليل، وقد ثبت الدليل أنه حيٌّ وورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سينزل ويقتل الدجال... ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك".[٥]

وقال البقاعي: "ويجوز أن يكون معنى متوفيك: آخذك إليّ من غير أن يصلوا منك إلى محجم دم ولا ما فوقه من عضو ولا نفس فلا تخش مكرهم".[٦]

وقال السمرقندي: "ففي الآية تقديم وتأخير، ومعناه إني رافعك من الدنيا إلى السماء،

---

(١) تفسير القرطبي :ج ٢/٩٩-١٠٢.

(٢) بحثت عن هذا الحديث فلم أجده في المصادر موجودة بين يدي، روح المعاني، للآلوسي:ج ٣/٢٨٦.

(٣) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي:ج ٢/٤٩٧.

(٤) فتح القدير للشوكاني :ج١/٣٤٤، ٣٤٥.

(٥) التفسير الكبير للإمام الرازي: ج ٤/٥٩-٦١.

(٦) ينظر: نظم الدرر للبقاعي:ج٤/٤٢٠، ٤٢١.

ومتوفيك بعد أن تنـــزل من السماء على عهد الدجال".[١]

وقال ابن عادل الدمشقي: "قوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [٢] فيه وجهان: أحدهما: وهو الأظهر – أن يكون الكلام على حاله من غير ادعاء تقديم وتأخير فيه – بمعنى إني مستوفي أجلك ومؤخرك وعاصمك من أن يقتلك الكفار، إلى أن تموت حتف أنفك – من غير أن تقتل بأيدي الكفار – ورافعك إلى سمائي".[٣]

وقال البيضاوي: "(إني متوفيك) وذكر فيه أربعة أوجه: الأول إني بنفسي مستوفي أجلك لا أسلط عليك من يقتلك... والأول أظهر".[٤]

وقال أبو السعود: "(متوفيك) أي مستوفي أجلك... أو قابضك من الأرض (ورافعك إليّ) أي إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي".[٥]

وقال الخازن: "إنه رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده جميعاً".[٦]

وقال ابن عاشور: (إني متوفيك) ظاهر معناه: إني مميتك هذا هو معنى هذا الفعل في مواقع استعماله. فيقال: توفاه الله أي قدّر موته... لأنه دل على أنه قد توفي الوفاة المعروفة التي تحول بين المرء وبين علم ما يقع في الأرض ... ولذلك قال ابن عباس، ووهب بن منبه: إنها وفاة موت.... والذي دعاهم إلى تأويل معنى الوفاة ما ورد في الأحاديث الصحيحة: أن عيسى عليه السلام ينـــزل في آخر مدة الدنيا، فافهم أن له حياة خاصة أخصّ من حياة

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمر قندي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل عبد الموجود وزملائه، ج١/٢٧٢، ط: الأولى : ١٤٢٧هـــ / ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي:ج٥/٢٦٥، ط: الأولى ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ج ٣/٧٩.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود : ج١/٤٣، ٤٤.

(٦) ينظر: تفسير الخازن :ج ١/٤٦٢، ٤٦٣.

أرواح بقية الأنبياء عليهم السلام... ويجوز أن تكون حياته كحياة سائر الأنبياء عليهم السلام. وليس في الكلام دلالة على أنه يموت في آخر الدهر سوى أن في حديث أبي هريرة في كتاب أبي داود "ويمكث أي عيسى عليه السلام أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون".[١] والوجه أن يحمل قوله تعالى: (إني متوفيك) على حقيقته، وهو الظاهر، وأن تؤوّل الأخبار التي يفيد ظاهرها أنه حيّ... في حديث أبي هريرة – ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون مدرج من أبي هريرة لأنه لم يروه غيره ممن رووا حديث نزول عيسى عليه السلام".[٢]

عندما نقارن كلام جمهور علماء المسلمين بأدلة ابن عاشور في قضيته رفع عيسى عليه السلام يتضح لنا هنا أنه خالف رأي الجمهور وسأذكر فيما يلي أدلة ابن عاشور والرد عليها من كلام الجمهور كما يلي:

الدليل الأول:

بين ابن عاشور أن معنى التوفي هو الموت على حقيقته وهو ظاهر.

فنجيب أن التوفي أخذ الشيء وافياً والموت نوع منه كما ذكر هذا المعنى الرازي[٣] والبيضاوي[٤] في تفسيرهما. إذا أصبح لفظ التوفي مشتركاً فلا يعين معناه إلا بقرينة أو بدليل. كما قال الرازي: "فالأمر فيه موقوف على الدليل، وقد ثبت الدليل أنه حي وورد الخبر عن

---

(١) وتمامه: "ليس بيني وبينه يعني عيسى عليه السلام، نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يُصِبْه بَلَلٌ، فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون". أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، من حديث أبي هريرة، ح : ٤٣٢٥، ص ٦٠٧. وقال الألباني: وهذا اسناد صحيح. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ح:٢١٨٢، ج ٥/٢١٤.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ٣/١٠٧-١٠٩.

(٣) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي: ج ٤/ ٥٩-٦١.

(٤) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ج ٣/٧٩.

النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه سينـــزل ويقتل الدجال ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك".[١] فنقول التوفي يحتاج إلى الدليل لتعيين معناه وقد ذكره الإمام الرازي آنفاً. فيؤخذ حينئذ معنى التوفي أخذ الشيء وافياً.

الدليل الثاني:

قول ابن عباس ووهب بن منبه يقتضي أن أمات الله عيسى عليه السلام.

ولكن لا يكفي قول ابن عباس ومن وافقه على إماتة عيسى عليه السلام وإن ثبت. فهناك أحاديث كثيرة تدل على أنه عليه السلام حي. كما اعترف بها ابن عاشور بنفسه وقال: "وأن تؤوّل الأخبار التي يفيد ظاهرها أنه حيّ".[٢]

الدليل الثالث:

قال ابن عاشور: ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون" فإنه مدرج من أبي هريرة لأنه لم يروه غيره ممن رووا حديث نزول عيسى عليه السلام.[٣]

وقد قمت بتخريج حديث أبي هريرة والحكم عليه فوجدت أن الألباني (٤) ذكره في الأحاديث الصحيحة.(٥) ولكن هناك مجموعة كبيرة من كبار المفسرين (٦) وأهل العلم الذين قالوا: بأن التوفي هنا ليس معناه الإماتة وبيّنوا أن الأخبار الكثيرة تدل على أنه عليه السلام حي. وذلك لأن النصوص الفرقانية، والأخبار المتواترة الواردة في حياة عيسى عليه السلام

---

(١) ينظر: التفسير الكبير للإمام الرازي:ج ٤/ ٥٩.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج٣/١٠٨.

(٣) المرجع السابق: ج ٣/١٠٩.

(٤) لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم المتوفرة لديّ.

(٥) وقال الألباني: هذا إسناد صحيح، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني : ج٥/٢١٤، ح :٢١٨٣.

(٦) كما مرت بنا أقوالهم آنفاً.

السلام ونزوله في آخر الزمان"(١) وقال البنوري(٢): "و قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا، وحكما مقسما. و أما رفع عيسى عليه السلام فاتفق أصحاب الأخبار والتفسير على أنه رفع ببدنه حياً...و هو حي على الصحيح، ذكر فيها تسعة وعشرين حديثا فى نزوله عليه السلام ما بين صحيح ، وحسن، و صالح، و مرفوع. و أما الآثار فتفوت الإحصاء ".(٣)

والحق يقال إن أدلة ابن عاشور ضعيفة وغير كافية فيما ذهب إليه بأن الله تعالى أمات عيسى عليه السلام في الدنيا ورفعه بروحه دون جسده كرفع سائر الأنبياء عليهم السلام.

أما أدلة الجمهور فهي قوية ودامغة وتثبت أن الله رفع عيسى عليه السلام بروحه وجسده وهو حيٌّ وأنه سينزل في آخر الزمان.

لأجل ذلك نستطيع أن نقول إن ابن عاشور خالف رأي جمهور العلماء واختار رأيا شاذاً فلا يعتبر به.

---

(١) انظر: عقيدة الإسلام مع حاشيته تحية الإسلام لمحمد أنور شاه الكشميري، مع تقدمته نزل أهل الإسلام في حياة عيسى عليه السلام لمحمد يوسف البنوري ص٤٦،٤٧ ط :الثانية ١٣١٦هـ ١٩٩٦م.الناشر المجلس العلمي كراتشي ـ باكستان .

(٢) هو الشيخ محمد يوسف بن السيد محمد زكريا الحسيني البنوري من كبار العلماء في شبه القارة الهندية، محدث خدم السنة النبوية والعلوم الإسلامية نحو نصف قرن، وخلف الثروة العلمية القيمة، ومن مؤلفاته: معارف السنن شرح جامع الترمذي، بغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب، ونفحة العنبر في هدى الشيخ الأنور، ويتيمية البيان لمشكلات القرآن. وتوفي رحمه الله سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. ينظر: معارف السنن شرح سنن الترمذي للشيخ محمد يوسف الحسيني البنوري ج١/ج-ز. ط: ١٤١٣هـ، الناشر: ايچ- ايم- سعيد كمپني كراتشي- باكستان.

(٣) انظر: عقيدةالإسلام مع حاشيته تحية الأسلام لمحمدأنور شاه الكشميرى , مع تقدمته نُزُل أهل الإسلام، فى حياة عيسى عليه السلام, بقلم محمد يوسف البنورى.ط:الثانية ١٤١٦هـ ـ١٩٩٦م. الناشر :المجلس العلمى, كراتشى ـ باكستان.

المسألة الثانية:

إثبات ابن عاشور نبوءة النساء:

حاول ابن عاشور أن يثبت أن النبوءة يمكن أن تكون في النساء كمريم أخت موسى

ومريم أم عيسى عليهما السلام كانتا نبيئتان.[١] واستدل الشيخ لذلك بالأدلة النقلية والعقلية واستخرج هذه الأدلة من التوراة والإنجيل أو اللغة. رغم ذلك أنها غير كافية.

والحق يقال: إنه لا يعتمد على التوراة حتى يثبت منها النبوءة في النساء. لأنها لم تكن خالية عن التحريف. وكذلك لا يؤخذ منه ما يخالف شريعتنا.

واستدل الشيخ أيضاً بأن تكليم الملائكة والاصطفاء يكفي لإثبات مريم أم عيسى أنها كانت نبيئة.

فيقال تكليم الملائكة والاصطفاء لا يكفي لاعتبارها نبيئة، ولكن لابد أن يذكر الدليل النقلي من كتاب الله العزيز أو من السنة المطهرة. وإلا فكيف نؤول ظاهر الآيات التي تدل على عدم إثبات النبوءة في النساء وهي: الأولى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى...الآية﴾[٢]

والثانية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ...الآية﴾[٣] والثالثة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ... الآية﴾[٤] بل يكاد يكون الإجماع على أنه سبحانه وتعالى لم يبعث نبيئة من النساء.[٥]

---

(١) تفسير ابن عاشور: ج ١٥/١٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير، ج ٢ / ٤٧٥. وتفسير أبي السعود ج ٣٥/٢ .

أما القول الذي ورد في تفسير فتح القدير بصيغة التمريض فهو قول شاذ لا يعتمد عليه، وهو قوله: (قيل النبوءة عن مريم أم عيسى)[١]

قال ابن عاشور في تفسيره: "فإن الله لم يرسل رسلاً من النساء لحكمة قبول قيادتهم في نفوس الأقوام إذ المرأة مستضعفة عند الرجال دون العكس...".[٢]

فمما يلاحظ على كلام الشيخ: أنه لا شك أن المرأة مستضعفة عند الرجال ونوافقه بهذا القدر، ولذا لم يرسل الله تعالى رسلاً من النساء لحكمة. لكن كيف تقوى المرأة لما تكون نبيئة. إذا ثبت أن معها صفة الضعف دائماً ولهذا لم يجعل الله الرسالة والنبوءة في النساء.

قال عبد الرحمن[٣]:" و بالنظر لواقع حال الرسل نرى أنّ الله سبحانه و تعالى لم يختر رسله من النساء، و فى ذلك حكمة عالية. لأن الاصطفاء بالرسالة من أصناف البشر لابد أن يلاحظ فيه الأجدر بحمل الرسالة، و صنف الرجال أجدر بحمل الرسالة من صنف النساء. لأمور تقتضيها ظروف الدعوة فى صفوف الرجال، و لأن الرسول هو الآمر و الناهي والحاكم و القاضى فى أمته، و هو القوّام عليهم فى أمورهم كلها، ولو كانت أنثى لم يتم ذلك بوجه كامل، ولايستنكف الأقوام عن الاتباع والطاعة، واتهموا حكمة الله. و كل ذلك مما يجعل كمال الحكمة الربانية أن يكون الاصطفاء بالرسالة من خصائص صنف الرجال من البشر. [٤]

---

(١) ينظر: تفسير فتح القدير للشوكاني ج١/٣٣٨.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ١٢/١٢٧.

(٣) لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم المتوفرة لدي.

(٤) ينظر: العقيدة الإسلامية و أسسها لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ,ص: ٣٩٤ط:الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م دارالقلم بيروت.

والخلاصة أن ابن عاشور اختار رأياً شاذاً وخالف بذلك جمهور علماء المفسرين.[١] مع وجود الردود الصريحة من كبار المفسرين[٢] على من يقول بأن النبوءة تكون في النساء. ولكن الشيخ لم يذكر هذه الأقوال.

لذا يعدّ هذا من المآخذ عليه كما يدلُّ عليه ما سيأتي . فلنأخذ هذه المسألة من تفسير ابن عاشور التي ذكر فيها أن النبوءة تكون للنساء. لكنها منتشرة في مواضع شتى و أذكر منها ما يلي:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [٣]

"... وتكليم الملائكة والاصطفاء يدلان على نبوءتها والنبوءة تكون للنساء دون الرسالة..."[٤] وهذا هو رأي مجموعة من العلماء. ولكن ليس الجمهور من علماء المسلمين.

ب- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [٥]

"... لما انتهى التنويه بفضل رجال من الأنبياء اعقب بالثناء على إمرأة نبيئة إشارة إلى أن أسباب الفضل غير محجورة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[٦] هذه هي مريم ابنة عمران..."[٧]

---

(١) ومنهم: ابن كثير والآلوسي وأبو حيان والشوكاني وابن الجوزي، والرازي والبقاعي وغيرهم.

(٢) كما مرت بنا أسماؤهم آنفا.

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٤٢.

(٤) تفسير ابن عاشور:ج ٣/٩٠.

(٥) سورة الأنبياء، الآية : ٩١.

(٦) سورة الأحزاب، الآية : ٣٥.

(٧) المرجع السابق : ج ١٧/١٠٠.

ج- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾[١]

"... أراد من ظهر في زمن موسى عليه السلام من الأنبياء. فقد كانت مريم أخت موسى نبيئه كما هو صريح التوراة (اصحاح ١٥ من الخروج)...".[٢]

اخترت بعض المواضع التي خالف فيها الشيخ ابن عاشور جمهور العلماء من المسلمين وتركت الباقي. وكذلك لم أذكر الردود التي ذكرها العلماء على عدم إثبات النبوءة في النساء.

لأنه موضوع طويل فيحتاج إلى بحث مستقل واكتفيت بالإشارة إليه.

٢- كثرة ذكر الإسرائيليات:

ومما يؤخذ على تفسير ابن عاشور كثرة ذكره للإسرائيليات. ومن ذلك ما ذكره في قصة اثني عشر رئيساً على جيش بني إسرائيل.[٣] وكذلك أوردها في قصة بني إسرائيل في أسر البابليين.[٤] حتى ذكر منها الشيخ في تفسيره ما يخالف شريعتنا ولم يعقب عليها. كما نقلها في حادثة قتل موسى عليه السلام للقبطي أنه عليه السلام التفت هنا وهناك وعندما رأى أنه لا يوجد أحد فقتله ثم طمره في الرمل.[٥] وكذلك أوردها في قصة سليمان عليه السلام وسماحه لأزواجه بعبادة الأصنام.[٦]

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٢) تفسير ابن عاشور: ج ١٧/١٠٠.

(٣) تفسير ابن عاشور : ج ٥/٦٠.

(٤) المرجع السابق:ج ١٤/٢٧.

(٥) المرجع السابق:ج ٢٠/٣٠.

(٦) المرجع السابق:ج ٢٣/١٥٦، ١٥٧.

٣- توضيح كلمات القرآن بالإسرائيليات:

ويلاحظ عليه كذلك أنه وضح الكلمات القرآنية بالإسرائيليات. كما وضح كلمة "المن" وقال قد وصفته التوراة بأنه دقيق مثل القشور.[١] وكذلك بين معنى كلمة "الزكاة" على أساس التوراة.[٢] وأيضاً استشهد بها في تحديد معاني الآيات. ومنها استشهاد الشيخ في عقدة لسان موسى عليه السلام حيث قال: "وهذا يدل على أن العقدة زالت عن لسانه، ولذلك لم يَحْكِ فيما بعد أنه أقام هارون بمجادلة فرعون. ووقع في التوراة في الإصلاح السابع من سفر الخروج".[٣] واستشهد بالإسرائيليات في ذكر كرسي سليمان عليه السلام. "فقد كان كرسي سليمان محفوفاً بتماثيل أسود أربعة عشر كما وصف في الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول".[٤]

٤- عرض الإشادة بأقوال تخالف الحقائق التاريخية:

ومما يؤخذ عليه عند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب نقل الشيخ بعض الأقوال وعرضها بصورة جيدة مع أنها تخالف حقائق التاريخ ومن ذلك أنه يعتبر بولس من أتباع عيسى عليه السلام الصادقين. وأنه القائم بالدين وأيّد الله به النصرانية.[٥]

لكن عندما نتصفح التاريخ نجد ما ينقض دعوى الشيخ. لأن التاريخ يثبت أن بولس ليس من اتباع عيسى عليه السلام، بل هو الذي خرّب وغيّر دين عيسى عليه السلام.[٦]

---

(١) المرجع السابق: ج١/٤٩٣.

(٢) المرجع السابق:ج ٥/٦١.

(٣) المرجع السابق:ج ١٦/١١٦.

(٤) تفسير ابن عاشور :ج ٢٢/٣٠.

(٥) تفسير ابن عاشور: ج ٥/٦٤. و المرجع السابق:ج ٢٨/١٨١.

(٦) ينظر : الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي : ج٢/٩٧٧.

ويدل على هذا كلامه كما قال بولس: "لا تحتاج النصرانية إلى شريعة التوراة".[١] وبذلك نشب الجدال بينه وبين الحواريين في زمنه.[٢]

٥- الإسهاب الزائد في المسائل اللغوية:

ومما يؤخذ على هذا التفسير أيضا الإسهاب الزائد في المسائل اللغوية. فقد خاض الشيخ في إيرادها عند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب مما يبعد القارئ عن الهدف الأساسي وهو الهداية من القرآن الكريم، ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وإيَّايَ فارْهَبُون﴾[٣] وبين فيه الكلام عن عطف الواو وتقديم المفعول واختلاف المفسرين حوله وحذف ياء المتكلم بعد نون الوقاية وغير ذلك حتى استغرق فيه أربع صفحات.[٤]

وكذلك ذكر المسائل اللغوية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وما ظلمونا﴾[٥] وبين فيه الكلام عن المعطوف على المقدر واختلاف المفسرين حوله والأسلوب في الجملة وبيان الخطاب بضمير الغيبة وغير ذلك فاستغرق فيه ثلاث صفحات.[٦]

٦- بعض المآخذ في ذكر الحديث أو نقله:

أ- عند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب أحياناً لم ينسب الشيخ الروايات الواردة في أسباب النزول إلى مصادرها. كما ذكرها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ...الآية﴾[٧] حيث قال: "روي في سبب نزول هذه الآية: أن رسول الله

---

(١) رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية، بعنوان بشارة بولس. ينظر: الكتاب المقدس، ص ٥٧٥.

(٢) ينظر: ما هي النصرانية؟ لمحمد تقي عثماني (بلغة الأردو)، ص ١١٠، ط: الرابعة ٢٠٠٤م، الناشر: أكاديمية الدعوة الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام آباد – باكستان.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٤٠.

(٤) تفسير ابن عاشور :ج ١/٤٣٩-٤٤٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(٦) تفسير ابن عاشور: ج ١/٤٩٣-٤٩٥.

(٧) سورة آل عمران، الآية : ٢٣.

صلى الله عليه وسلم دخل مدراس اليهود فدعاهم إلى الإسلام...".[١] وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا...الآية﴾[٢] "وهنالك أخبار في أسباب النزول تثير هذه الاحتمالات: فروى أن وفد نجران قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى اتباع دينه: "على أي دين أنت؟ قال: على ملة إبراهيم – قالوا: فقد زدت فيه ما لم يكن فيه".[٣]

وكذلك قد يورد الشيخ الأحاديث عند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب ولا يعزوها إلى مصادرها. كما ذكر الحديث عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ...الآية﴾[٤] ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال لأخيه يا كافر فقد باء هو بها".[٥]

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا...الآية﴾[٦] "كما جاء في الحديث: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات".[٧]

ب- عند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب قد يذكر ابن عاشور الأحاديث بالمعنى دون ألفاظها. ومن ذلك ما ذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ

---

(١) تفسير ابن عاشور:ج ٣/٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٣) تفسير ابن عاشور:ج ٣/١١٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٥) تفسير ابن عاشور ج ٢/٤٨٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية : ١٤٦.

(٧) المرجع السابق : ج٢/٢٨٨.

وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[١] وقد ورد في الحديث: "أنه خير بين أن يكون نبيئاً عبداً أو نبيئاً ملكاً فاختار أن يكون نبيئا عبداً".[٢]

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾[٣]

"ابتدأ بذوق العذاب حين يرى مترلته التي سيؤول إليها يوم الجزاء كما ورد في الحديث".[٤]

(١) سورة النمل، الآية: ١٧.

(٢) المرجع السابق:ج ١٩/٢٣٧.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٢٥.

(٤) المرجع السابق ج ٣٠/٧٣.

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

(١) كان ابن عاشور عالما مصلحا ولذلك اهتم في تفسيره بأمور المسلمين عند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب ومنها :

هداية الأمة الإسلامية وإرشادها وإصلاحها وقضايا الفكر والدعوة والسياسة ،كما يظهر من تسمية تفسيره "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد".

(٢) اعتمد ابن عاشور على مصادر كثيرة في تفسيره وخاصة شتى التفاسير بالرواية والدراية.

(٣) جمع الشيخ في تفسيره المأثور والمعقول معا.

(٤) كان ابن عاشورعالما جليلا ومتبحرا في علوم عديدة.وعنده ملكة نابغة خاصة في مقارنة الأديان ومعرفة كتب أهل الكتاب. فيناقشهم في قضاياهم ويكشف اختلافات وتناقضات أهل الكتاب وتحريفهم في كتبهم.

(٥) يكثر ابن عاشورإيراد الإسرائيليات في تفسيره ويدافع فيها عن عصمة الأنبياء عليهم السلام، ومع ذلك سكت الشيخ في بعض الأماكن عن الإسرائيليات التي تخالف الشريعة الإسلامية.

(٦) حاول ابن عاشور أن يثبت وجوه الإعجاز القرآني في تفسيره في مواضع كثيرة.

(٧) اهتم بالربط والمناسبات بين الآيات عند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب، ولكن لم يذكر المناسبات بين السور.

(٨) قد يشرح المفردات القرآنية بالأشعارالعربية ويستشهد بها عند تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب.

(٩) خالف ابن عاشور- رحمه الله- جمهور علماء المسلمين في بعض المسائل ولكن كثيرا ما نجده موافقا لموقف أهل السنة والجماعة.

(١٠) تفسير ابن عاشور تحليلي لأن مؤلفه لم يترك جانبا من جوانب التفسير إلا وقد ذكره بنوع من التفصيل. وأخيرا أرى أن تفسير ابن عاشور من أنفع التفاسير الموجودة في العالم.

وبصرف النظر عن بعض الملاحظات لايستغني عنه عادي وطالب ولا عالم. ولا أدعي بأنني استوعبت الموضوع في بحثي. والمجال واسع للعلماء وطلاب العلم كما قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [١] ولذا فهذا جهد المقل القاصر. فما كان فيه من الصواب فهو من الله تعالى وما كان فيه من الخطأ فهو مني ومن الشيطان الرجيم.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعني والمسلمين به و أن يجعله صدقة جارية لي ولوالدي ولأهلي ولأساتذتي ولابن عاشور ولجميع المؤمنين.

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة يوسف، الآية ٧٦.

فهارس فنية

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

(حسب ورودها في البحث)

١	لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم	٧	إبراهيم	د
٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ	١٠٢	آل عمران	١
٣	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ	١	النساء	١
٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا	٧١	الأحزاب	١
٥	وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ	٤٠	البقرة	٢٠

٦	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ	٨١	آل عمران	٢١، ٢٣
٧	بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ	١١٢	البقرة	٢١
٨	وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ	١٣٧	الأعراف	٢١
٩	كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ	٥٩	الشعراء	٢١
١٠	تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ	٢٥٣	البقرة	٢٢
١١	سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ	٢٧	القصص	٢٣
١٢	فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى	٣٢	النجم	٢٣، ٢٤
١٣	قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ	٥٥	يوسف	٢٣، ١٠٥
١٤	وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	٤٤	النحل	٢٦

١٥	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ	٥٩	البقرة	٢٦
١٦	وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ	٥٨	البقرة	٢٧
١٧	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ	٤٦	المؤمن	٢٧
١٨	كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ.....	٧٩	المائدة	٣٠
١٩	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٧٨	المائدة	٣٠
٢٠	أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ	٥٤	القصص	٣١
٢١	وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ	٨٣	المائدة	٣٣
٢٢	وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ	٩٣	يونس	٣٥

	وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ				
٢٣	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ	٦٠	النساء	٣٥	
٢٤	وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ	١٠	الأحقاف	٣٦	
٢٥	أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ	٧٧	البقرة	٤٠	
٢٦	قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ	٨٥	طه	٤٠	
٢٧	سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ	١٤٥	الأعراف	٤١	
٢٨	قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ	٢٢	ص	٤٢	
٢٩	آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا	٤٦	العنكبوت	٤٦	
٣٠	وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ	١٠٢	البقرة	٤٧	

٣١	أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ	١٣٣	البقرة	٥٠
٣٢	فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ	١٠٣	الصافات	٥١
٣٣	قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ	٨٥	طه	٥٢
٣٤	وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا	١٠٢	البقرة	٥٣
٣٥	وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ	٣٤	ص	٥٤
٣٦	وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ	٨٧	طه	٥٦،٥٧
٣٧	وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا	١٤٨	الأعراف	٥٦
٣٨	وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ	٢١	ص	٥٧
٣٩	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ	٦١	البقرة	٧٠

٤٠	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً	٦٧	البقرة	٧٠
٤١	وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٧٣	البقرة	٧١
٤٢	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ	٧٤	البقرة	٧١
٤٣	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٢٤٦	البقرة	٧١
٤٤	وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ	٢٤٦	البقرة	٧٢
٤٥	يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ	٤٩	البقرة	٧٣
٤٦	وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ	١٤٦	الأنعام	٧٣، ٨٧، ٩٢
٤٧	وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ	١٥٧	الأعراف	٧٣

٤٨	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ	٦٣	البقرة	٧٤
٤٩	يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ	١٣	سبا	٧٤، ٩٢
٥٠	فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ	١٤	الصف	٧٥، ١١٤
٥١	وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى	٥٧	البقرة	٧٥
٥٢	وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ	١٢	المائدة	٧٦
٥٣	فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا	١٠	طه	٧٦
٥٤	يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ	٨٣	المائدة	٧٧
٥٥	الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ	١٥٧	الأعراف	٧٨
٥٦	وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ	٦	الصف	٧٨

٥٧	لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ	١٧٢	النساء	٨٠
٥٨	فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ	٣٧	مريم	٨٠
٥٩	الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ	١	هود	٨٦
٦٠	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ	٨٢	النساء	٨٦
٦١	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ	٤٤	البقرة	٨٦، ٩٦، ١١٣
٦٢	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ	٤٣	البقرة	٨٧
٦٣	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ	٤٥	البقرة	٨٧
٦٤	وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ	٤٣	البقرة	٨٧
٦٥	أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ	١٤٥	الأنعام	٨٨
٦٦	وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ	٦٢	البقرة	٩١

	بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ			
٦٧	وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ	١١٣	البقرة	٩١
٦٨	إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ	١٥٦	الأعراف	٩٢
٦٩	فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ	٢٣	مريم	٩٢
٧٠	اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي	٤٢	طه	٩٢
٧١	وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ	١٣١	الأعراف	٩٣
٧٢	فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا	١٤٣	الأعراف	٩٥
٧٣	قَالُوا يَا مريم لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا	٢٧	مريم	٩٥
٧٤	وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ	١٢	الممتحنة	٩٥
٧٥	وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ	٤٢	البقرة	٩٦

٧٦	إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ	١٦٣	الأعراف	٩٧
٧٧	وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا	١٦٩	الأعراف	٩٧
٧٨	وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً	٨٠	البقرة	٩٨
٧٩	يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ	٢٨	مريم	٩٨
٨٠	أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ	٨٣	الأنبياء	٩٩
٨١	رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ	٣٣	ص	١٠٠
٨٢	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ	٦٣	البقرة	١٠١
٨٣	إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا	٧	النمل	١٠١
٨٤	قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ	٤٤	النمل	١٠٢
٨٥	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا	٢٤٧	البقرة	١٠٤

٨٦	ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ	٥٦	البقرة	١٠٦
٨٧	لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى	٥٦	الدخان	١٠٧
٨٨	وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ	٧٤	البقرة	١٠٧
٨٩	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ	٢٥١	البقرة	١٠٨
٩٠	وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ	١٨	المائدة	١١٤
٩١	واشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيْلاً	١٨٧	آل عمران	١١٤
٩٢	وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ	١٥	النمل	١١٥
٩٣	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ	٥٥	آل عمران	١١٧، ١١٩
٩٤	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ	١٠٩	يوسف	١٢٣
٩٥	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ	٤٣	النحل	١٢٣

٩٦	وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ	٧	الأنبياء	١٢٣
٩٧	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ	٤٢	آل‌عمران	١٢٥
٩٨	وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا	٩١	الأنبياء	١٢٥
٩٩	إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ	٣٥	الأحزاب	١٢٥
١٠٠	اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ	٢٠	المائدة	١٢٦
١٠١	وإِيَّايَ فارْهَبُون	٤٠	البقرة	١٢٨
١٠٢	وَمَا ظَلَمُونَا	٥٧	البقرة	١٢٨
١٠٣	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ	٢٣	آل‌عمران	١٢٨
١٠٤	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ	٦٤	آل‌عمران	١٢٨
١٠٥	وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر	٢٥٣	البقرة	١٢٨

١٠٦	وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا .	١٤٦ .	الأعراف	١٢٩ .
١٠٧	وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ .	١٧ .	النمل .	١٢٩ .
١٠٨	فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى .	٢٥ .	النازعات	١٢٩ .
١٠٩	وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .	٧٦ .	يوسف .	١٣١ .

فهرس الأحاديث والآثار

١	لا يشكر الله من لا يشكر الناس	د
٢	لا تفضّلوا بين الأنبياء	٢٢
٣	ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه	٢٦
٤	حبة في شعرة أو في شعيرة	٢٧
٥	إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي	٢٧
٦	كان الرجل من بني إسرائيل يلقى الرجل إذا رآه على الذنب	٣٠
٧	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه	٣١
٨	أن المعنى في هذه الآية ثمانية من نصارى الشام كانوا في بلاد الحبشة	٣٤
٩	هم اليهود الذين كانوا في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا قبل مبعثه مقرين بنبي يأتي	٣٥

١٠	إن الخصومة بين منافق ويهودي	٣٦
١١	المراد بـــ(شاهد من بني إسرائيل) عبدالله بن سلام	٣٧
١٢	نضر الله إمرا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه	٣٩
١٣	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم	٣٩
١٤	كان بعض اليهود يحدث المسلمين بما عذب به أسلافهم	٤٠
١٥	كان السامري من أهل (كرمان)	٤١
١٦	أن دار الفاسقين هي دار العمالقة، والجبابرة	٤١
١٧	كانا ملكين أرسلهما الله في صورة رجلين لداود عليه السلام	٤٢
١٨	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾	٤٦
١٩	بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	٤٦
٢٠	إذا اجتهد أحدكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد	٨٢
٢١	يولد الولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصّرانه	٩٢

٢٢	لا طيرة وإنما الطيرة على من تطير	٩٤
٢٣	إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم	١١٦
٢٤	إن عيسى عليه السلام لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة	١١٨
٢٥	ليس بيني وبينه يعني عيسى عليه السلام، نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه	١٢٠

فهرس الأعلام المترجم لهم

١	ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام	٣٩
٢	ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبدالقادر بن محمد	١٠
٣	أبو الأعلى المودودي	٥٧
٤	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري	٣٤
٥	أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري	٣٤
٦	أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان	٥٨
٧	أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني	٣٠
٨	أبو السعود محمد بن محمد	٣٤

٩	أبو صالح ويقال باذان	٣٦
١٠	أبو عبدالله أحمد بن حنبل	٤٩
١١	أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك	٥٠
١٢	أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي	٣٣
١٣	أبو عبدالله وهب بن منبه	٤٢
١٤	أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي	٢٨
١٥	أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد عمر الزمخشري	٥٩
١٦	أبو معاذ بشار بن برد	١٠٢
١٧	أبو موسى عبدالله بن قيس الأشعري	٣١
١٨	أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي	٣٦

١٩	أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي	٥٠
٢٠	إسماعيل بن عبدالرحمن السدي	٤٠
٢١	أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت	٩٩
٢٢	أنس بن مالك بن النضر	٦١
٢٣	بختنصر بن ملك بابل	٥١
٢٤	برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي	٥٨
٢٥	بولس (القديس)	٦٩
٢٦	الحارث بن حلزة بن مكروه، شاعر جاهلي	١٠١
٢٧	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري	٣٦
٢٨	سعيد بن جبير	٤١

٢٩	السامري	٤٠
٣٠	شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي	٩٦
٣١	صموئيل آخر قضاة إسرائيل	٧٢
٣٢	عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني	١٢٤
٣٣	عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات	٥٥
٣٤	عبدالله بن رؤبة بن لبيد العجاج.	١٠١
٣٥	عبدالله بن سلام بن الحارث	٣٧
٣٦	عكرمة البربري المدني	٣٧
٣٧	علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين الخازن	٥٩
٣٨	عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير	٢٨

٣٩	قتادة بن دعامة	٣٦
٤٠	القليـــبـــي	١٢
٤١	كعب الأحبار	٤٩
٤٢	كعب بن الأشرف	٣٦
٤٣	مجاهد بن جبر	٣٤
٤٤	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	٢٨
٤٥	محمد يوسف البنوري	١٢٢
٤٦	محمد حسين الذهبي	١٩
٤٧	محمد السويسي، صالح	١٣
٤٨	محمد عبدالعظيم الزرقاني	١٦

٤٩	محمد ناصر الدين الألباني	١٢١
٥٠	محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي شهاب الدين	٥٥
٥١	مسروق بن الأجدع	٦١
٥٢	موسى بن جبير مولى بني سلمة	٤٩
٥٣	مهلهل بن يموت	١٠٠
٥٤	ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي	٢٨
٥٥	هاروت وماروت	٥٠

فهرس المصادر والمراجع

١	اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، لفهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، ط: الرابعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م الرياض.
٢	الإتقان في علوم القرآن، تحت عنوان "طبقة التابعين" لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق: حامد أحمد الطاهر البسيوني، ط: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، الناشر: دار الفجر للتراث-القاهرة.
٣	الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى سنة ٧٣٩هـ، حقّقه شعيب الأرنؤوط. ط: الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م. مؤسسة الرسالة بيروت.
٤	أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام حياتهم – آثارهم – فقد آثارهم، ط: ١٩٨٦م لدار مارون عبود.
٥	أسد الغابة في معرفة الصحابة لعزالدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ، (بدون تاريخ) دار الشعب قصر العيني بالقاهرة، مصر.
٦	الإسرائيليات في التفسير والحديث: لمحمد حسين الذهبي المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، ط: الرابعة ١٤١١هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.
٧	الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ ، الناشر مكتبة السنة القاهرة- مصر.

٨	الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، ط: الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان
٩	أصول التفسير وقواعده لخالد عبدالرحمن العك. ، (بدون تاريخ الطبعة والمكان) دار النفائس.
١٠	أصول الفقه الإسلامي، للدكتور وهبة الزحيلي، كتب خانه رشيدية، بيشاور – باكستان.
١١	إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ، تحقيق: الدكتور محمد أحمد بن محمد عبد القادر خليل ملكاوي، هـ ١٩٩٤م، الناشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض- المملكة العربية السعودية.
١٢	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخيرالدين الزركلي، ط: الثانية عشرة، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.
١٣	أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الطالب: هلال خزاري الجزائري ، المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد-باكستان. قسم المحفوظات برقم: T-٣١٨٠.
١٤	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، ط: دار المعرفة، بيروت.
١٥	البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ، ط: الثالثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، دار الفكر، بيروت-لبنان.

١٦	تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، ط: الأولى ١٣٩٤هـ، مطبعة حكومة الكويت.
١٧	التاريخ الكبير لأبي عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ، (بدون تاريخ) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٨	التحبير في علم التفسير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، ط: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، دار المنار القاهرة-مصر.
١٩	التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ مؤسسة التاريخ العربي ط: الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، بيروت-لبنان.
٢٠	التعريفات للجرجاني تأليف السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي المتوفى سنة ٨١٦هـ، المكتبة الحمادية كراتشي-باكستان. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢١	تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى سنة ٩٨٢هـ، الطبعة الرابعة: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار احياء التراث العربي بيروت-لبنان.

٢٢	تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ ، ط: الأولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٢٣	تفسير البيضاوي للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد المتوفى سنة ٦٨٥هـ، وعليه حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
٢٤	تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن المتوفى سنة ٧٤١هـ، ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية بيروت.
٢٥	تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وزملائه، ط: الأولى : ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦	تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المتوفى بعد سنة ٨٥٠هـ، ط: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م. دار الكتب العلمية بيروت.

٢٧	تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عمادالدين، أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، (بدون تاريخ الطبعة) دار احياء التراث العربي بيروت-لبنان.
٢٨	تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين للإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ، حققه اسعد محمد الطيب ط: الثانية: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. المكتبة العصرية بيروت.
٢٩	تفسير مقاتل بن سليمان للإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـ، تحقيق: أحمد فريد، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٣٠	التفسير والمفسرون: لمحمد حسين الذهبي المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، ط: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. آوند دانش للطباعة والنشر.
٣١	تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي ، ط: الخامسة عشرة ١٩٩٤م، الناشر مؤسسة ترجمان القرآن لاهور – باكستان.
٣٢	تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء(بدون تاريخ) قديمي كتب خانه كراتشي باكستان.
٣٣	تهذيب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، ط: الأولى ، ١٣٢٦هـ، دار صادر، بيروت.
٣٤	تيسير الوصول إلى علم الأصول للدكتور عبد الرحيم يعقوب، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، العبيكان، الرياض.

٣٥	جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، ط: الأولى: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار ابن حزم، بيروت-لبنان.
٣٦	الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م دار احياء التراث العربي بيروت-لبنان.
٣٧	الجرح والتعديل للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء ، الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
٣٨	جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١هـ، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
٣٩	الحيوان، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، ط:الأولى ١٩٥٧م مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٤٠	خزانة الأدب ولب لباب العرب ، لعبدالقادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ، ط: الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت-لنان.
٤١	دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي، ط: الثالثة ١٩٧١م، دار المعرفة، بيروت.
٤٢	دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني، دار المعرفة، ١٨٨٠م بيروت-لبنان.

٤٣	دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للقاضي عبدالنّبي بن عبدالرسول الأحمد نكري، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
٤٤	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، ط: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الفكر، بيروت.
٤٥	زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
٤٦	سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين الألباني المتوفى سنة ١٣٧٣هـ، ج ١ / ٧٧٦,ط: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م, ط : مكتبة المعارف , الرياض.
٤٧	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة لمحمد ناصر الدين الألباني المتوفى سنة ١٣٧٣هـ، ط: الأولى: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م. مكتبة المعارف الرياض.
٤٨	سنن ابن ماجه: للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ، بإشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، ص ٦٥١, الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م, ط دارالسلام الرياض– المملكة العر بية السعودية

٤٩	سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي النيسابوري المتوفى سنة ٢٧٥هـ، ط: الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دارالسلام الرياض.
٥٠	السياسة من واقع الإسلام لسيد صادق الشيرازي، ط: الثانية ١٤٠١هـ. (بدون ذكر المطبعة)
٥١	سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، ط: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت- لبنان.
٥٢	شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، ط: الثانية: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الميسرة، بيروت.
٥٣	شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد الحسن المرزوقي، نشره: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، ط: الأولى ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
٥٤	الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير" للدكتورة هَيَا ثامر مفتاح العلي،دار الثقافة، ١٩٩٤م، الدوحة-قطر.
٥٥	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ، دار العلم للملايين، بيروت.
٥٦	صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦ هـ،ط الثانية ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م دار السلام الرياض.

٥٧	صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ، ط: الثانية ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، دارالسلام الرياض.
٥٨	طبقات المفسرين لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، ط: الأولى،١٣٩٦هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.
٥٩	عقيدة الإسلام مع حاشيته تحية الإسلام لمحمد أنور شاه الكشميري، مع تقدمته(نزل أهل الإسلام في حياة عيسى عليه السلام) لمحمد يوسف البنوري المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، ط :الثانية ١٣١٦هـ ١٩٩٦م.الناشر المجلس العلمي كراتشي ـ باكستان.
٦٠	عقيدة الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني , ط:الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م دارالقلم بيروت.
٦١	علل الحديث ، للإمام أبي محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٢٧٧هـ، حققه أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري. ، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م. الناشر: الفاروق الحديثة القاهرة.
٦٢	العمدة في غريب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ط: الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.
٦٣	فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، (بدون تاريخ) الناشر عالم الكتب.

٦٤	القاموس عربي –عربي قاموس لغوي عام، إعداد محمد هادي اللحام، محمد سعيد، زهير علوان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
٦٥	كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور علي عبدالواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة – القاهرة.
٦٦	كتاب الثقات للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ١٩٨١م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند.
٦٧	كتاب دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، مكتبة الرشد ناشرون، ط: الثانية ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، السعودية – الرياض.
٦٨	الكتاب المقدس: (أي العهد القديم والعهد الجديد) (بدون تاريخ) دار المشرق، بيروت .
٦٩	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، (بدون تاريخ) دار الكتاب العربي- بيروت.
٧٠	كشف الأسرار شرح المصنف على المنار للإمام أبي البركات عبدالله بن أحمد المعروف بـ حافظ الدين النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ، (بدون تاريخ) دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
٧١	كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطني الرومي الحنيفي الشهير بالملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧هـ،

	١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار الفكر، بيروت – لبنان.
٧٢	اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٨٨٠هـ، ط: الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٣	لسان العرب لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ،ط: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان
٧٤	ما هي النصرانية؟ لمحمد تقي عثماني (باللغة الأردو)، ط: الرابعة ٢٠٠٤م، الناشر: أكاديمية الدعوة الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام آباد – باكستان.
٧٥	مباحث في علوم القرآن لمناع القطان المتوفى سنة ١٩٩٩م، طبعة مصورة: كتب خانه رشيديه، بيشاور-باكستان.
٧٦	مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني أحمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري المتوفى سنة ٥١٨هـ، ط: الأولى ٢٠٠٣م، منشورات، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان.
٧٧	مدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى سنة ٧٠١هـ، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق ١٩٢٤م القاهرة.
٧٨	المستقصى في أمثال العرب لجار الله محمود بن عمر الزمخشري. ط: الأولى ١٣٨١هـ/١٩٦٢م بمجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند.
٧٩	مسند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنووط وزملائه، ط:

	الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان
٨٠	مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي حققه الألباني ، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الناشر المكتب الإسلامي بيروت.
٨١	معارف السنن شرح سنن الترمذي للشيخ محمد يوسف بن السيد محمد زكريا الحسيني البنوري المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، ط: ١٤١٣هـ، الناشر: ايچ- ايم- سعيدكمبني كراتشي- باكستان.
٨٢	معجم الأدباء ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي الرومي. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، ط: الأولى ١٩٩٣م. دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
٨٣	معجم تفاسير القرآن للدكتور عبدالقادر زمامة، وزملاؤه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، ط: ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مطبعة ايديال، الدار البيضاء.
٨٤	معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر لعادل نويهض: ط: الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مؤسسة نويهض الثقافية.
٨٥	معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ، ط: الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧١م شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٨٦	معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة، (بدون تاريخ) دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان.
٨٧	مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦١٤هـ، ط: الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٨	مقدمة ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ، ط: الثالثة ١٤١٧هـ، المكتبة التجارية، مكة المكرمة_ السعودية.
٨٩	مقدمة في أصول التفسير لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن عبدالسلام بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ، (بدون تاريخ) المكتبة العلمية، لاهور-باكستان.
٩٠	مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير للدكتور محمد بن عبدالكريم الجزائري ، ط: الأولى ١٣٧٠هـ، الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية طرابلس.
٩١	من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، تأليف: المستشار عبدالله العقيل ، ط: الثالثة ١٤٣٢٦هـ/٢٠٠٥م دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة- مصر.
٩٢	مناهل العرفان في علوم لقرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني المتوفى سنة ١٣٦٧هـ، الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
٩٣	المنجد في اللغة والأعلام (بدون اسم المؤلف وتاريخ) ط: ٢١ المكتبة الشرقية، بيروت.
٩٤	منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، للدكتور حلمي عبدالمنعم صابر,هـ، رابطة العالم الإسلامي.

٩٥	موسوعة الاجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبو حبيب: ، (بدون تاريخ) إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.
٩٦	موسوعة الأمثال لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، ط: الأولى ٢٠٠٣م، مكتبة الهلال، بيروت-لبنان
٩٧	الموسوعة الشوقية: الأعمال الكاملة لأمير الشعراء أحمد شوقي، جمع وترتيب وشرح: إبراهيم الأبياري ، ط: الثانية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتاب العربي، بيروت.
٩٨	الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي: ط: الأول ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
٩٩	المهذب في علم أصول الفقه المقارن، تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية للدكتور عبدالكريم بن علي بن محمد النّملَة ط: الثالثة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م. مكتبة الرشد الرياض -السعودية.
١٠٠	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ، ط: الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة- مصر.

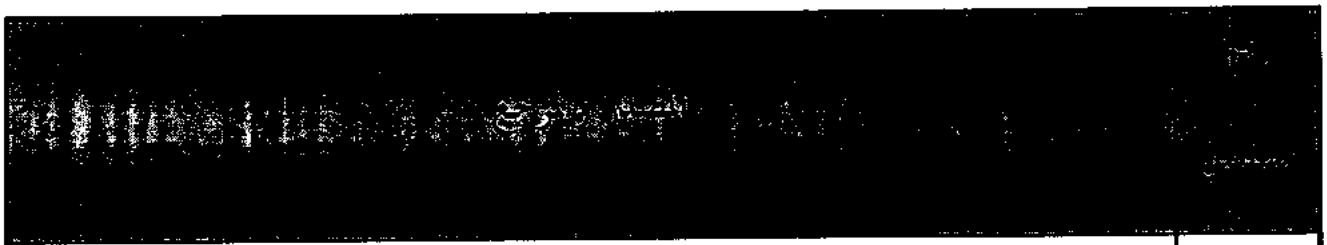

١٠١	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ، ط: ١٣٩٧هـ، دار صادر، بيروت-لبنان.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسملة	أ
لجنة المناقشة	ب
إهداء	ج
كلمة شكر وتقدير	د
مقدمة	١
أهمية الموضوع	١
خطوات البحث	٢
خطة البحث	٣
الفصل الأول: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالرواية عن المصادر الإسلامية	٨
تمهيد	٩
أولاً: نبذة عن حياة ابن عاشور رحمه الله	٩
ثانياً: نبذة عن تفسيره	١٣

ثالثاً: تعريف موجز بمفردات الرسالة	١٦
المبحث الأول: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالقرآن الكريم.	١٨
تمهيد	١٩
المطلب الأول: تفسير الآية المجملة بالمبينة	٢٠
المطلب الثاني: دفع التعارض الظاهري بين الآيات وبين الآية والحديث	٢٢
المبحث الثاني: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالسنة النبوية.	٢٥
تمهيد	٢٦
المطلب الأول: تفسير الآية المجملة بالسنة النبوية	٢٦
المطلب الثاني: بيان التأكيد بالسنة المطهرة	٢٩
المبحث الثالث: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.	٣٢
تمهيد	٣٣
المطلب الأول: تفسير الآية بقول الصحابي	٣٣
المطلب الثاني: تحديد المعنى المبهم بقول الصحابي	٣٥

ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين	٣٧
المبحث الرابع: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال التابعين رحمهم الله	٣٨
تمهيد	٣٩
المطلب الأول: تفسير الآية بقول التابعي	٤٠
المطلب الثاني: تحديد المعنى المبهم بقول التابعي	٤١
ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأقوال التابعين	٤٢
الفصل الثاني:منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالنقل عن المصادر غير الإسلامية	٤٤
المبحث الأول: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالإسرائيليات المروية عن مسلمة أهل الكتاب	٤٤
تمهيد: نبذة عن الإسرائيليات	٤٥
المطلب الأول: منهج ابن عاشور في إيراد الإسرائيليات	٤٧
المقصد الأول: التعقيب على الإسرائيليات	٤٧

المقصد الثاني: السكوت عن الإسرائيليات	٥٣
المقصد الثالث: ملخص منهج ابن عاشور في إيراد الإسرئيليات	٦٢
المبحث الثاني: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالرجوع إلى الكتب المقدسة لأهل الكتاب	٦٤
تمهيد	٦٥
أولا: الكتب المقدسة من العهد القديم التي أحال عليها ابن عاشور في تفسيره	٦٥
ثانيا: التعريف بالأسفار والأناجيل التي اعتمد عليها ابن عاشور في تفسيره	٦٦
المطلب الأول: موافقة تفسير ابن عاشور لبيان الكتاب المقدس	٦٩
المقصد الأول: النقل عن الكتاب المقدس لبيان قصص القرآن	٦٩
المقصد الثاني: النقل عن الكتاب المقدس لتأييد بيان القرآن	٧٢
المقصد الثالث: استشهاده بالكتاب المقدس فيما يذهب إليه من المعنى	٧٤
المقصد الرابع: توضيحه الكلمة القرآنية بالكتاب المقدس	٧٥
المطلب الثاني: إثبات ابن عاشور للعقائد الإسلامية	٧٧
المقصد الأول: إظهاره البشارة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب المقدس	٧٧

المقصد الثاني: إبطاله عقيدة ألوهية عيسى عليه السلام بالكتاب المقدس	٨٠
الفصل الثالث:منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالرأي	٨٢
تمهيد	٨٢
أولاً: تعريف التفسير بالرأي	٨٢
ثانياً: أنواع التفسير بالرأي	٨٢
ثالثاً: ما يجوز من التفسير بالرأي وما لا يجوز	٨٣
المبحث الأول: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في ذكر المناسبات	٨٤
تمهيد	٨٥
المبحث الثاني: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في تناول الأبحاث اللغوية	٨٩
تمهيد	٩٠
المطلب الأول: شرح الكلمات الغريبة في القرآن	٩١
المطلب الثاني: اهتمامه بالاشتقاقات الصرفية	٩٣
المطلب الثالث: اهتمامه بالنحو	٩٦

المطلب الرابع: استشهاده بالشعر العربي	٩٨
استشهاده بالشعر في تفسير الآيات الكريمة	٩٨
استشهاده بالشعر في تفسير الكلمات القرآنية	١٠١
خلاصة منهج ابن عاشور في تفسير الآيات أو الكلمات القرآنية بالأشعار	١٠٢
المبحث الثالث: منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بأمور الحياة اليومية، ومنها: السياسة والعلم التجريبي.	١٠٣
المطلب الأول: تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بعلم السياسة	١٠٤
المقصد الأول: تعريف السياسة	١٠٤
أمثلة تطبيقية من تفسير ابن عاشور	١٠٤
ملخص منهج ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بعلم السياسة	١٠٥
المطلب الثاني: تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب بالعلم التجريبي	١٠٦
تمهيد: تعريف التفسير العلمي التجريبي	١٠٦
والأمثلة على ذلك	١٠٦
الفصل الرابع: تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب عن ابن عاشور في الميزان	١١٠

المبحث الأول: خصائص تفسير ابن عاشور	١١١
في الجانب العقدي	١١١
سعة اطلاعه	١١٢
التزامه بأصول التفسير	١١٣
التركيز على رد الإسرائيليات	١١٤
استخلاص الفوائد والعبر	١١٥
المبحث الثاني: أبرز المآخذ على تفسير ابن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب.	١١٦
مخالفة جمهور علماء المسلمين	١١٦
كثرة ذكر الإسرائيليات	١٢٦
توضيح كلمات القرآن بالإسرائيليات	١٢٧
عرض الإشادة بأقوال تخالف الحقائق التاريخية	١٢٧
الإسهاب الزائد في المسائل اللغوية	١٢٨
بعض المآخذ في ذكر الحديث أو نقله	١٢٨

الموضوع	الصفحة
الخاتمة	١٣١
فهارس فنية	١٣٣
فهرس الآيات	١٣٤
فهرس الأحاديث والآثار	١٤٧
فهرس الأعلام المترجم لهم	١٥٠
فهرس المصادر والمراجع	١٥٦
فهرس الموضوعات	١٧١

International Islamic Univ.
CENTRAL LIBRARY
ISLAMABAD.